

المثقفون والسلبية

بقلم: رئيس التحرير

والتناقض بينه وبين الالتزام .
إن المثقفين عليهم مسؤولية بالغة في توضيح كل ما
غُمض من شؤونهم ، وشئون امتهم ، لأنهم هم الطليعة
التي تقدر على بسط الأمور وتوضيحها وفك رموزها ،
 وإزالة العقد منها ، وأمور الحياة كلها عقد ورموز ، ولا
يستطيع حل هذه العقد وفك هذه الرموز إلا الواعون
المفكرون ، والواعون المفكرون هم المثقفون طبعاً ، لكن
المثقفين نوعان في كل أمة من الأمم ، نوع يجنح إلى
السلبية ويتخذها فلسفة له ، وعن طريق فلسفتها
يفلسف الالتزام كما يريد أن يؤمن به ، ونوع يميل إلى
الإيجاب ويروج بفلسف الإيجاب الذي يتعارض مع
السلبية ، وعن طريق الإيجاب يوضح الالتزام الذي
يناقض الالتزام ، ولعل البعض يعترض على هذا المفهوم
الذي نطرحه بهذه الصورة وبهذا الشكل ، ويروح يفرق
بين السلبية والالتزام ويقول أن السلبية قد تكون التزاماً
أيضاً ، فإذا أراد المثقف أي مثقف أن يجنح إلى السلبية
فليس معنى ذلك أنه لم يلتزم ، وإنما هو ملتزم فعلاً ،
 فالجنوح إلى السلبية معناه الالتزام بالسلبية ، ونحن نعتقد
أن مثل هذا المفهوم مفهوم خاطيء ، لأن السلبية ليست
الالتزام أصلاً ، فكيف يجوز أن نربطها بالالتزام ، والالتزام
كما نؤمن به هو الالتزام التابع عن إيمان وأخلاص يؤديان
إلى نتائج إيجابية لصالح الأمة التي ينتمي إليها المثقف ،
 وإذا لم يؤد الالتزام إلى هذه النتائج أصبح شيئاً آخر ،

هل الهدوء الذي يخيم على العرب اليوم هو الهدوء
الذي يسبق العاصفة ؟ أم أنه الهدوء الذي هو أشبه
بالخدور ؟ ولماذا يخيم على العرب مثل هذا الهدوء
أو الخدور ؟ هل هو نتيجة تأثير الحرب النفسية التي لم
يستطيعوا أن يتصدوا لها ؟ أم هو نتيجة البلبلة الفكرية
التي ما زالت موجاتها تهدر على الفكر العربي ؟ وما هو
الدور الذي أدّاه المثقفون بالنسبة لهذا الهدوء أو الخدور ؟
أم تراهم هم أنفسهم سبب هذا الهدوء أو الخدور ؟ ومن
هم المثقفون الذين نعتيهم بهذا الصدد ؟ إن المثقفين كما
نعرفهم نوعان ، نوع ملتزم وآخر غير ملتزم ، والالتزام
لا يتعارض والمثقفين ، لأن الالتزام شيء ، والمثقفين شيء
آخر ، والالتزام كما نعرفه ونؤمن به ، هو الالتزام بالمثل
والمبادئ ، وإذا كان الالتزام هو الالتزام بالمثل والمبادئ
فانه بلا شك غير الالتزام الذي ينتج عن قهر وتوجيه
مفروض ، فإذا لم يكن الالتزام عن قناعة وإيمان أصبح
إلزاماً مفروضاً ، وما هي المبادئ والمثل التي يلتزم
بها الملتزم ؟ ليس هناك ريب أنها هي التي تحدد مجرى
حياته ، وتربطه بأمنه في حاضرها وفي مستقبلها وفي ماضئها
أيضاً ، والماضي والحاضر والمستقبل حلقات مرتبط
بعضها ببعض ، وكل شيء له ماضٍ أوصله إلى حاضره ،
وحاضر يوصله إلى مستقبله ، إذاً لا انفكاك بين الحاضر
والماضي ، ولا انفكاك بين الحاضر والمستقبل ، والمثقفون
هم الذين يستطيعون أن يوضحوا أيضاً معنى الالتزام ،

المثقفون والسلبية

منطق العيب ، اذ كيف يجوز لي ان اسوي بين جاد وهازل ؟ والمثقف جاد بالتزامه لان نتيجة هذا الالتزام توصل الى الهدف المطلوب الذي يفيد الأمة في حاضرها ويدافع عن ماضيها السليم ويبنى لمستقبلها الذي يتنصاه لها ، وليس الماضي كله صالحا ، وإبنا الذي نعينه بالماضي هو المثل والمبادئ التي تتعلق بحسن التصرف وبحسن معاملة الانسان وبالاخلاق الفاضلة ، وبالمعدل بين الناس ، والمساواة بينهم في الواجبات والحقوق ، الى غير ذلك من المثل الصالحة ، والمبادئ القوية ، كما ان الحاضر ليس كله صالحا ، بل قد يكون كله طالعا غير صالح ، والمثقف هو الذي يعمل على تغيير هذا الحاضر الطالع ، اي يلزم نفسه بالعمل عن قساعة وإيمان بازالة الشوائب والاختفاء التي تحيط بحاضره ، ويلزم نفسه إلزاما بقلب هذا الحاضر الطالع او قلب الفاسد منه وتصحيحه للوصول الى مستقبل زاهر عظيم ، فهذا هو المثقف الجاد ، اما الهازل فهو الذي يعالج الامور بسلبياته المختلفة ، دون النظر الى نتائج هذه السلبيات ، ويمكن ان ننسبه لمثقرا بمنطق الخلدتين ، ونقول انه هازل لمثقف بمعالجة الامور بسلبياته وشبهتان بين مثقرف جاد ، ومثقرف هازل ، ذلك ان الهازل كما قلنا لا ينتج عن ايمان ولا عن قناعة ولا عن اخلاص ، وقد يكون انتاجه تابعا عن غرض من الأغراض ، لكنه على كل حال ليس تابعا عن اخلاص او قناعة او ايمان .

قد يختلف هؤلاء الادباء والفنانون والكتاب المثقرون في اساليبهم ، لكن ما دام الهدف الذي يرمون إليه واحدا ، فهم مثقرون طبعيا ، وان كانت وجهات نظرهم متعددة ، وكل كاتب وفنان واديب ملزم بالالتزام بالدفاع عن امته وقضاياها ، ملزم بخدمة وخدمة ابنا امته قدر ما يستطيع ، وإلا أصبح عضوا غير نافع ، لا يستفيد منه أبناء امته ، ولا يستفيد منه وطنه ، ان الالتزام هو الالتزام بالدفاع عن حقوقنا ، والعمل على ردها بخلاف الوسائل ، فالجندي ملزم بالدفاع عن الوطن وحدوده بالسلاح ، والكاتب ملزم بالدفاع عن حقوقه بالكتابات التي يكتبها ، والفنان بنفسه ، والاديب بادبه ، والشاعر بشعره ، وهكذا جميع افراد الأمة ، يشتركون بالدفاع عن الوطن ، وعن حقوق الوطن ، ويشتركون بفعل مشاكل المواطنين وقضايا الوطن بالوسائل التي يمتلكونها ، كل في مجال عمله ، فهم جميعهم ملزمون بخدمة الشعب والوطن ، هذا هو

لكنه ليس التزاما على اي حال من الاحوال . اما النوع الثاني من المثقفين فهو الذي يلتزم فعلا بمبادئ امته ومثلها ويروح يطرحها على الناس ويفلسفها على مختلف اشكالها ، يدفعه الى ذلك قناعته وإيمانه بها ، وهذا النوع من المثقفين هو النوع الذي يتعارضا تعارضا تاما مع المثقفين السلبين ، انه من النوع الايجابي الذي يتحمل مسؤولية القوعية ، والدفاع عن مبادئ الأمة ومثلها ، لانه واحد منها ، تابع من تربتها ، متحمس لمشاكلها ، شاعر بالامها وآمالها ، مرتبط بمصرها ارتباطا تاما ، لانه منها ولها . وقد ناز جدل طويل حول مفهوم الالتزام ، وتشعب هذا الجدل ، واختلف فيه كثير من الكتاب والفنانين والادباء ، وأخذ البعض منهم يعكس مفهوم الالتزام ويعزوه الى الالتزام ، اي ان هذا البعض يعني ان الالتزام الذي يلتزم به الادباء في ادبهم والفنانون في فنهم ، والكتاب في كتاباتهم ما هو الا التزام وليس التزاما بأي شكل من الاشكال ، فما دام هذا الاديب وهذا الفنان وهذا الكاتب الزم نفسه في اتجاه واحد ، وسار على خط واحد أصبح ملزما بهذا الخط وهذا الاتجاه ، فهو إذا ليس ملثقرا وإنما هو ملزم ، وراحوا يسيهون في ادعاءاتهم ويطيلون الجدل ويفلسفون افكارهم هذه ويدعون الى إلغاء الالتزام ، لكن فات هؤلاء الادباء والفنانين والكتاب ان يفسر « الالتزام » بهذا المعنى ، وتوضيح « الالتزام » بهذه الصورة ، ما هو الا نوع من الجدل الذي يدور في حلقة مفرغة ليس لها أول وليس لها آخر ، لانا لو اردنا ان نحلل واقع هاتين الكلمتين بهذا المنطق لما خرجنا بأي نتيجة ، ولما وصلنا الى الهدف الذي نرمي اليه ، فهاتان الكلمتان نستطيع بهذا المنطق ان نطبقهما على المثقرف وعلى غير المثقرف ، فالمثقرف إنما هو ملزم بهذا الالتزام ، والمثقرف إنما هو ملثقرف بهذا الالتزام ، إذا فما هي النتيجة ؟ فالاديب المثقرف إنما هو اديب ملزم بهذا الالتزام ، والفنان المثقرف بقنه ، انما هو فنان ملزم بهذا الفن ، وكذلك الكاتب المثقرف بكتاباتة إنما هو كاتب ملزم بهذه الكتابات ، وكذلك بالنسبة للرسام والنحات والشاعر وغير هؤلاء من طلائع الأمة ومثقفها ، وبهذا المنطق نكون قد ساوينا بين الجاد والهازل ، والجاد هو المثقرف عن ايمان وقناعة ، والهازل هو الذي لا ينتج عن ايمان وقناعة واخلاص ، وانما يكون انتاجه عن دافع من الدوافع التي ليس لها علاقة باخلاص ، او قناعة ، او ايمان . اي ان مثل هذا المنطق لا طائل تحته فهو

معنى الالتزام الذي نعرفه ونؤمن به ، وهذا هو معنى الالتزام النابع عن إيمان وصدق وإخلاص ، إذاً فالالتزام ليس إلزاماً ، وإيماء هو إيمان نابع من القلب ومن الشعور والوجدان ، وليس معنى الالتزام الذي نعرفه ، إلا الإجبار والإكراه ، والكتاب أو الفنان أو الأديب أو غيرها من المثقفين لا يكرهون ولا يجبرون على التزام مبدأ لا يؤمنون به ، أو رأي لا يفتنون بصدقته ، أو فكرة لا يعتقدون بسلامتها ، وإذا ما تم إكراههم وإجبارهم على ذلك أصبحوا منسلفين عن حقيقتهم ، فاقدي الشعور والاحساس ، فاقدي الكرامة أيضاً ، والكرامة هي الحصن الواقعي من مثل هذه الأوباء ، وهي أوباء أفك من أوباء الجسد ، لأنها تصيب الشعور والاحساس ، وتفكك بالروح والعقيدة والإيمان ، وإذا كانت أوباء الجسد تعالج بالأدوية والمقابر ، فإن أوباء الروح ليس لها علاج .

وأخيراً نعود إلى السلبية التي تخيم على مثقفينا اليوم ، وتصل بهم إلى هذا الركود أو الهدوء الذي يشبه الخدور ، ونسائل هل هذا الخدور أو الهدوء أو الركود ، هو الذي يسبق العاصفة ، أم أنه نتيجة الحرب النفسية التي شلت حركتهم وعطلت نشاطهم ، وبلبت أفكارهم ؟ وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لثقافتنا ، فما هو الأمر بالنسبة للرد العادي عندنا ؟ ومن هو المسئول عن هذا الهدوء ، وعن البلبلة الفكرية ، وعن هذا الركود الذي يخيم على المثقفين عندنا ؟ ولماذا تشن الحرب النفسية علينا دون الوقوف أمامها والدفاع عن أنفسنا ضدّها ؟ إن السلبية التي تلف مثقفينا هي المسئول الأول ، لكن ما هي السلبية التي نخفّئها هذه المسؤولة ، وكيف أتت هذه السلبية وأصاب المثقفين عندنا ؟ وهل السلبية إنسان حتى نخفّئها المسؤولة أم أنها داء من الأدواء يصيب الإنسان فيفقد عنه العمل ؟ لا شك أن السلبية من الأدواء الخبيثة التي تصيب الإنسان ، وتشل حركته ، وتؤدي به إلى الجمود ، وعدم التجاوب مع الأحداث الدائرة حوله ، أي أنها أشبه بالشلل الذي يصيب الإنسان ويعطل حركته ، إذاً لماذا أصابت السلبية مثقفينا ففقدوا عن الحركة ، واستسلموا للخدود والراحة ؟ فهل تراهم غير قادرين على القضاء على هذه السلبية التي تكاد تفكك بهم ، وهل تراهم أيضاً غير قادرين على الفكك بهذه البلبلة الفكرية التي تكاد أن توقف حركة العقل ، وتخجب عنه الرؤية الواضحة ، أم تراهم يعتقدون أن هذه السلبية التي أسلمتهم إلى الراحة

والركود ليس لها خطر عليهم وعلى الأمة كلها ؟ أم أن الوقت لا يدعو إلى نبذها والقضاء عليها في الوقت الحاضر ؟ إذاً فمتى يبين الأوان ؟ إن الغريب حقاً أن تخيم السلبية على مثقفينا وتعطل حركتهم ، وتشل نشاطهم ، في هذا الوقت الذي تتدافع فيه الأحداث وتتابع المشاكل على أمتنا ، وتتراجم المصائب وتتعمد الأمور ، وتصل إلى القمة ، وتبلغ الحرب النفسية أوجها ، والحرب النفسية تنشط عادة عندما يكون المثقفون والمفكرون وأصحاب الرأي غائبين بعيدين عن تتبع الأحداث ، لأنّ الحرب النفسية يمكن صدّها والقضاء عليها عندما ينصدّي لها المثقفون والمفكرون وأصحاب الرأي ، لأنّ الحرب النفسية تعتد أكثر ما تعتد على دراسة النفسيات ومعرفة مدى تجاوبها مع الأكاذيب والإشاعات التي تنطلقها عليها ، كما أن الحرب النفسية تعتد على الفرص التي يمكن لأكاذيبها وإشاعاتها أن تتصل خلالها إلى هدفها دون حائل يحول أمها ، ودون عائق يقف ضدها ، والمثقفون والمفكرون وأصحاب الرأي يشكلون أكبر حائل ، وأعظم عائق يستطيع أن يصود لها ويفند أكاذيبها ، ويفسد إشاعاتها . إن المثقفين العرب مدعوون اليوم إلى أن ينفذوا عن كواهلهم غبار الخمول ، وأن يصحوا من هذا الجمود الذي يضيظ بهم ، وأن يمزقوا الهدوء الذي يخيم عليهم ، ويخرجوا من نطاق السلبية الذي يلهم ، ويحلوا أسلحتهم للدفاع عن الفكر العربي ، ولإحباط هذه الحرب النفسية الشرسة التي تشن على أمتنا في هذا الوقت الذي لا يؤمن إلا بالأمر الواقع ، مهما كان هذا الواقع قائماً على الزيف أو الباطل ، فإذا ما استطاع مثقفونا والمفكرون فينا وأصحاب الرأي أن يغفروا هذا الواقع ، ويرسوه على دعائم من العدل والحق ، واستطاعوا أن يعيدوا لهذه الأمة كرامتها ، وللشعب حقوقه ، وللوطن عزته ، واستطاعوا أن يجعلوا العالم يرضخ لهذا الواقع القائم على العدل والحق .

أما الحقوق فلا تزال بحاجة
إلى بحجة مدفع وقواضب
ومتى غداً طلبها مستضعفاً
في حقّه ، فالحق حقّ الغاصب



عن الصبر

وحين لله عشب

على كل الساعات . تعددت الاسماء

الرايات

المؤتمرات .

تعبت عرفت الوجه الآخر للاشياء

وحزنت على الوطن الغائب

فانتيت اكاد ربح الهجرة فيك إليك

انهل من بين يديك

يا قهري الشاحب

فانا هوعود بك

مفتش ما بين رياحك وترايك

واسمك منقوش في السطر الأول ،

من قائمة همومي اليومية

فارقت بنحولي .

يا ضوء عذاباتي الليلية

ما يملاني بحنين الاعشاب ، ونار عذاب الفقر .

وانوح حزني بورود اللهب ،

والاعب طير البحر

لكني يا منديل حبيبي

يا سور الاحباب المتفين عن العين

ضيعت خروفا المر

وانسا اسأل من أين ؟

عفوك يا وطني .

من أين يجيء الصبر ؟

من اثجار القهر

المتددة ما بين

اسوار فلسطين الى صدر البحرين

من سجن سمح انقاسم ام ،

من زنزانة قاسم حداد ؟!

لو اعرف من أين

لتجملت قليلا

وابتعت لواحدتي منديلا

وحملت لها باقة زهر



من أين يجيء الصبر

وانسا اظعن في السر وفي الجهر

وانسا اظلي ببيانات التاييد ،

واظعن في الظهر

يا سور الاحباب المتفين عن العين

لا يرحم هذا البين

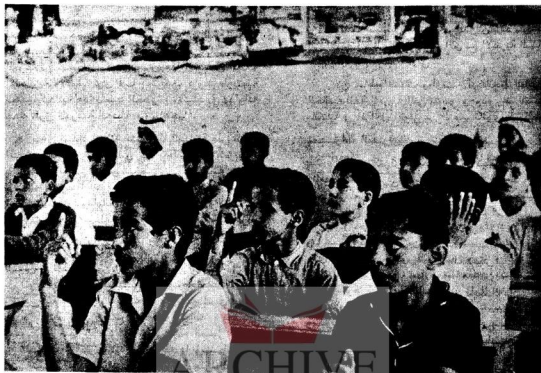
فانا مزدحم بالمدن المفجوعة ،

والقامات المقصوفة ،

طوقت بلاد الله ، خربت الأصوات المتجهرة ،



محمد القسبي



رأي في تعليم اللغة العربية

بقلم : يعقوب عبد النبي

٢

او غير مقدس ، بل كانوا امة امية لا تعرف قراءة ولا كتابة ، فلما نزل القرآن بينهم ، اصبحوا بعد عشرات من السنين ، من انشط اأم العالم قاطبة ، في التدوين والتأليف ، بعد ان جمعوا لغتهم ودونوها . ووضعوا لها القواعد التي تحدد ضبط الفاظها ، والمعاني التي تعبر عنها ادواتها واساليبها .

ان تعلم العربية بعد نزول القرآن ، قد دار حول محور واحد ، وهو كتابة القرآن وحفظه ولم تتغير هذه الطريقة على امتداد الثلاثة عشر قرنا ، التي تلت الهجرة الى ان ظهرت المدرسة الحديثة بطرقها التعليمية المختلطة من الغرب ، نقلًا ومحاكاة لطرق تعليم اللغة

يظهر ان الكتب المقدسة ، كان لها الدور الاول ، في تدوين اكثر اللغات القديمة ، وبقائها الى اليوم ، حية متداولة على توالي القرون والاجيال ، وذلك مثل السريانية ، والعبرية ، واللاتينية والصينية ، والسنسكريتية ، والعربية .

ولقد شاعت من الوجود عشرات اللغات القديمة ، التي لم يدون بها كتاب مقدس ، كالبابلية والاشورية والسبئية والفينيقية والمصرية ، وما بقي من نقوش هذه اللغات وآثارها الكتابية ، لا يقدم لنا الا صورة تافهة ، لا تعبر عما كان لها من ثراء واكتمال .

والعرب قبل الاسلام ، لم يكن لهم كتاب مقدس

من كلمات اللغة .

وبذلك يستحيل استحالة مطلقة ان يرتد مثل هؤلاء الى الامية ، كمثل الذي يحدث الان مع الاكثية الساحقة التي يخرجها التعليم الاولى .

لان مناهج التعليم وطرقه لم تلاحظ الطبيعة الخاصة للغة العربية التي تقتضى وجوب ربط القراءة بالكتابة في المراحل الاولى من التعليم باقوى الروابط .

معجزات القرآن

اذا كان القرآن قد جاء برسالة دينية ، في التوحيد والعبادات والتشريع ، فان معجزته البلاغية قد صحبتها معجزتان اخريان : معجزة تاريخية ، ومعجزة تعليمية .

اما المعجزة التاريخية ، فان نزوله بلغة العرب . وما تبع هذا النزول من كتابته وحفظه ، على اوسع مدى ، ثم تدوين العلوم الكثيرة من حوله ، كل ذلك كان اذناسا ببولد قومية ، صارت فيما بعد من اشهر قوميات العالم ، وهي : القومية العربية ، ولولا القرآن لانحصر العرب في جزيرتهم ، تلازمهم الامية ، وتضنيهم المنازعات والحروب ، وتزداد الفوارق اللغوية ، بينهم اتساعا ، حتى يصيروا اما متناكرة ، ولولا القرآن لكان اقصى اعداد بلاد العرب شمالا مكة من الغرب ، ونجد من الشرق ، ولولا القرآن لما استطاع العرب على امتداد القرون والاحتجاب ان يكونوا امة واحدة او حكومة واحدة ، ولولا القرآن لما كان للعرب اي وجود الان في العراق او سوريا او فلسطين ، ولولا ايضا لما احتل العرب الساحل الشمالي لامريقيا ، وطردت لغتهم السهلة الثرية ، كل لغات شعوب هذا الساحل بل لقد كان الأرجح ان يكون هذا الساحل اليوم ، اما ابيض بالهجرة الاوربية ، واما اسود بالهجرة الافريقية ، واما خليطا من الابيض والاسود ، ولولا القرآن لكان الاستعمار الاوربي القديم قد احتل بلادهم من مئات السنين ، واقام فيها ائما مطمنا الى اليوم ، كما فعل مع قبائل جنوب افريقيا وشرقها ، واخيرا لولا القرآن لما بقي على ظهر الارض دين يسمى الاسلام ولا بقيت امة تسمى امة العرب !!

اما المعجزة التعليمية ، فقد كنت اول من يجهلها ، او لا يقدرها الا بالقليل من تدرها الحقيقى ، الى ان لغتني اليها بقوة ، تجربة تعليمية خاصة ، كنت اقوم بها في تعليم النحو العربى . ففي سنة ١٩٤٥ كانت نفسي قد امتلأت غيظا وثورة على مناهج النحو وطرق تدريسه ، تلك المناهج التي توزع ابوابه على عدة فرق دراسية من التعليم الابتدائى والثانوي ، وتدرسه باشنع الطرق كما سيأتي الحديث عنها .

الانجليزية ، واللغات كما تعرف تختلف في الخصائص ، ومن هنا يجب ان تختلف طرق التعليم ، فنعلم كل لغة بما يوافق خصائصها . وسوف نرى ان اللغة العربية لغة طبيعية خاصة ، ومن اهم مظاهرها غياب حروف الحركة من كتابتها ، ولا يوجد مثل هذا العيب في الكتابة الانجليزية وسوف نرى فيما بعد كيف داوت طريقة الكتاب البدائية هذا العيب الخطير ، وفشلت في مداواته جميع طرق المدرسة الحديثة ، ومنهجها .

فعلى امتداد الثلاثة عشر قرنا السابقة على ظهور المدرسة الحديثة ، كان الذي يقوم بتعليم اللغة العربية ، هو (فقيه الكتاب) وهو شخص محدود الثقافة ، وكل مؤكلاته انه يحفظ القرآن كله او اكثره ، وكانت طريقته آية في بساطتها وفاقليتها ، فهو يبدأ بتعليم الاطفال الحروف الهجائية جيلة واحدة (قراءة وكتابة) مفردة بلسانها اولا ، ثم محركة بالحركات القصيرة والطويلة ثانيا ، واخيرا يعلمها بحركة بالحركات التي يلحقها التثنية . فهذه الصور الثلاث للحروف الهجائية ، هي كل المواد الاولى التي تصنع منها جميع كلمات اللغة ، ولا شيء بعدها ، والعارف بها كمن يسلك في يده جميع المفاتيح التي يفتح بها الابواب ، ولهذا السبب فان فقيه الكتاب كان يعطي لهذه الصور الثلاث من الحروف ، اكبر عناية ويقت عندها وقتا طويلا ، حتى يتسكك من قوة تسجيلها مترابطة على السنة الاطفال صوتا ، وعلى ايديهم كتابة لان كل ما سوت يرد بعد ذلك من كلمات او جمل ، انها هو ممكن ومؤلف من هذه المواد الاولى ثم ينتقل الفقيه بعد ذلك ، انتقالا نجائيا ، فيكتب للأطفال اولا قصار السور ويكلفهم حفظها بالتكرار القوي ، حتى تستقيم السننهم وترن على نطق جميع المقاطع الصوتية من الخارج الصحيحة ، والفقيه بهذا العمل — الكتابة ثم الحفظ — يحقق اهم مبدأ من مبادئ تعلم اللغة ، وهو انها صناعة قولية باللسان ، وصناعة كتابية باليد والقلم ، وان هاتين الصناعتين يجب ان تتلازما وتترابعا باقوى الروابط مع التكرار لكل منهما حتى تقوى الالتان اللتان تصنعانها ، وهما اللسان لصناعة القول ، والقلم لصناعة الكتابة .

واذا كانت القراءة يمكن تكرارها باللسان ، فان الكتابة ولو انها لم تكتب الا مرة واحدة ، فان العين اثناء القراءة تلتقط الاف الصور الفوتوغرافية ، وتطبعها في الحافظة طبعيا لا يزول ، مقترنة في الوقت نفسه بالصور الصوتية للكلمات التي تقرأ .

فاذا اتم الاطفال حفظ القرآن ، بعد كتابته في الاواح بهذه الطريقة ، فان معنى ذلك انهم قد سجلوا على السننهم وفي اذهلتهم الصور الصوتية والكتابية لافصح نص عربي يحتوي على (مئات الاف)

وهو حل كنت اعتبره في ذلك الوقت حلا ارتجاليا عشوائيا
تسغيفا .

هذا الحل يتوئل في ان اكلف التلاميذ بحفظ موضوع
المطالعة ، بعد ازالة الصعوبات الصوتية من الموضوع ،
بقراءتي له جملة بعد جملة و التلاميذ يتابعونني في القراءة ،
فاذا تأكدت من قدرتهم على الاستقلال بالقراءة دعوتهم
الى حفظ الموضوع ، على طريقة اطفال الكتاب في حفظ
الالواح .

وكنت لا اسمح لاي تلميذ بان يطالع من الكتاب
مطلقا ، بل يجب ان تكون مطالعة جميع التلاميذ من
الذاكرة بعد حفظ الموضوع ، ولم يكن بينهم وبين اطفال
الكتاب الا فرق واحد وهو اني ابحت لهم عند المطالعة
الا يكتفوا بالنص ، فاذا خاتمتهم كلمة او ضاع منهم
تعبير فلهم كل الحق في استبدال كل ما يضيع بغيره ما
دام صحيحا ومحققا للمعنى ، بل لهم فوق ذلك ان
يتزيدوا بما يوحيه اليهم تداعي المعاني .

وكان الغرض من هذه الطريقة التسغيفية ، كما
كنت اراها في ذلك الوقت ، هو الحصول على نصوص
مسجلة في اذهان التلاميذ ، يمكن استعادتها كتابة ،
ليجروا عليها عملية ضبط اواخر الكلمات بحركات
الاعراب والبناء ، ما دامت لا توجد بأيديهم كتب خالية
من الضبط .

وهذا هو ما كان يحدث في اليوم التالي ، حيث
كنت اكلف التلاميذ بان ينقلوا في كراسات الاملأ
موضوع المطالعة الذي حفظوه في اليوم السابق ، على
ان يضبطوا بحركات الاعراب والبناء كل كلمة يكتبونها ،
متأكدين من قاعدة ضبطها ، وما يعسر عليهم فليتركوه
لفرصة اخرى ، ولهم حرية التصرف عند الكتابة بالزيادة
او النقصان ، او تغيير التراكيب ، وكأنه بهذه الصورة
موضوع انشائي وغير عندي هو عملية الضبط
وتكرارها .

ولما نجحت التجربة نجاحا فاق كل ما كنت اقدره ،
اخذت اجرها في الاعوام الدراسية التالية مع الفترتين
الاولى ، وجعلت عماد التجربة معها صناعة اللغة قولا
وكتابة على اوسع مدى من غير ان الزمهم بالضبط الا
ما ينقلونه من مواد (الصور الكلامية) التي سبق
الحديث عنها في المقال السابق ، وجعلت عماد
التجربة مع الفقرة الثانية عملية ضبط اواخر الكلمات
بعد ان ادرس لهم جميع المقرر من النحو على المرحلة
الابتدائية .

وسر اختياري لهاتين الفترتين ، ان عقول تلاميذهما
لينة طيبة سهلة الانقياد والتشكيل لم تتحجر بالطرق

اما المناهج فقد بلغت كثرة التبدل والتغير فيها
الى الحد الذي صارت مناهجه في هذه الايام تستكثر على
الفرقة الرابعة الابتدائية ان تقدم لهم الضمائر المنفصلة
الاثنى عشر مرة واحدة ، بل تقسمها قسمين ، فانا ،
وانت ، وانت ، وهو ، وهي ، للفرقة الرابعة والباقي
تجعله من مقرر السنة الخامسة الابتدائية .

ومثل ذلك فعلت مع اسماء الاشارة الخمسة
واسماء الموصول الستة ، فجعلت تدريسها على
الفرقتين الرابعة والخامسة ، ليس هذا العمل من
اعظم عبقريات دراعية اخر الزمان ودكاترة الاميركانيزم
الذين صاروا في غفلة من الزمان اوصياء على تعليم
اللغة العربية !!

لغني مبدأ العام الدراسي من سنة ١٩٤٥ — عزمت
ان اقوم بتجربة تعليمية في النحو مدتها اربعون يوما ،
وهي كل ما استطيع (سرقته) من مدة المنهج الرسمي ،
وبعيدا عما يثير شبهة ناظر المدرسة او مفتش التعليم .
وكان السبب في قيامي بهذه التجربة ، هو اقتناعي التام
بان لا فائدة مطلقا من دراسة النحو ، ولو كانت
الدراسة واسعة وعميقة ، ما لم يصحبها ويقرن بها
تطبيق شامل ومكرر على الضبط والاعراب والتصريف ،
حتى يصبح قواعد النحو سليقة وطبعيا ، على اللسان
قولا ، وعلى القلم كتابة ، وفكرت انه لن يتحقق هذا
الهدف الا بتدريس النحو كله اولا ، حتى لا يتفلسف
الروابط التي تربط قواعده ، بتواعد السنين بينها ، ولا
يلغيها من الذاكرة الاهمال وعدم استخدامها في التطبيق
الشامل المتكرر ، وابتدأت التجربة مع الفقرة الثانية
الابتدائية وهي اول فرقة توزع عليها بعض القشور
النحوية .

وقررت ان اجعل العشرين يوما الاولى لتدريس
جميع المقرر تدريسه من ابواب النحو على المرحلة
الابتدائية كلها ، اما العشرون يوما الثانية ، فقد
ادرت جميع دروس تعليم اللغة العربية حول التطبيق
الشامل المتكرر لجميع ما درسته من ابواب النحو .

وهنا وقتت امامي عقبة هامة ، لا بد من التغلب
عليها ، والا فسدت التجربة ، وهي الضبط الكتابي ،
وكيف يكون ، ذلك اني كنت قد استطعت وبسهولة ان
اجعل التلاميذ يقومون بالضبط الشفهي المتكرر ، في اثناء
دروس المطالعة التي كنت اسبها احبائنا بالمطالعة
الاعرابية ، وهي التي تجعل التلميذ يعرب كل ما
يطالعه اعرابا مختصرا .

وقد بقي علي ان اجد الوسيلة الكتابية التي تجعل
التلاميذ يضبطون نصوصا طويلة بحركات الاعراب
والبناء ، ولم اجد امامي الا حلا واحدا لهذه المشكلة ،

فامام هذه الاسئلة وجدنتني في حيرة شديدة ، وتفكير عميق ودائم ومتصل لمعرفة : كيف يعمل العقل !!

وللحق اقول : ان هذه التجربة كانت بداية نقطة تحول خطير في حياتي الفكرية والتعليمية فلقد فتحت امامي آفاقا واسعة على دنيا العقل ، وملكاته ، والنفس وغرائزها وتصرفاتها واثركل من النفس والعقل في العملية التعليمية .

وبما كشفته من وراء دراساتي المتصلة لاعمال العقل ان من اهم اسباب ارتفاع درجة الحفظ والاسترداد عند تلايذ التجارب هو طريقة ضبط اواخر الكلمات بحركات الاعراب والبناء ، ذلك ان هذه الطريقة كانت تستدعي من التلاميذ ان يكودا اذهانهم كدا عنيافا في اول الامر ، لكي يستحضروا من الذاكرة القواعد التي تعلموها ، والتي تعين لهم حركة الضبط المطلوبة ، وكان هذا الاستحضار للقواعد من الذاكرة ، يتكرر في الدرس الواحد ، نحو (مائة) مرة ، تبعا لعدد الكلمات المطلوب ضبطها ، ومعنى ذلك ان تكرار استعادة القواعد ، واسترجاع ما في الحافظة منها ، على هذا المدى الواسع ، قد اكسب الانتباه قدرة كبيرة على التركيز واكسب الحافظة قدرة كبيرة ايضا على سرعة الاستجابة لاستخراج ما فيها من قواعد مطلوبة وسرعة الاستجابة والاستعادة ، قد مكنت للروابط الذهنية ان تكون حاضرة ومنسقة على الدوام ، وتكرار حضورها قد مكن من قوة ترابطها ، ولسرعة استجابتها . ذلك لان الروابط الذهنية الفاعلة الفاعلة على التذكر والاستدعاء ، بسبب لعله لا يمكن تذكر اي شيء بدون روابط ذهنية تصاحبه وتستدعيه .

ومن كل ما تقدم يأتي دور السليقة التي تنشأ عن التكرار ، والتكرار هو الذي يرسخ وجودها ويجعلها بعد ذلك تأتي بالشيء غنوا بلا د ولا تعب ولا عناء .

وهذا هو ما كان يحدث بالفعل فالتلاميذ في اول

الفاسدة ، ولم اعد بعد ذلك اخشى سلطة ناظر مدرسة او مفتش تعليم لو اكتشفنا قيامي بعمل هذه التجارب التي ربما يرونها (عبثا وانسادا) للبناء الرسمي .

واذا كان تلاميذ الفرقة الثانية في التجربة الاولى ، قد ضبطوا مئات الكلمات ، بسبب قصر المدة فان تلاميذ التجارب التالية قد ضبطوا الالف الكلمات ، لان عملية الضبط قد استمرت العام الدراسي كله ، ما دام كل شيء يكتبونه سوف يكون من الذاكرة ، ايام من الذاكرة ، وانشاء من الذاكرة وتطبيقات نوحية من الذاكرة .

الا ان نجاح هذه التجربة ، قد اوتعنني في حيرة شديدة ، امام ظواهر عقلية بدت لي من التلاميذ ، منها ان درجة تركيز انتباههم عن السماع او الحفظ او الاستعادة لما سمعوا او حفظوا قد زادت بدرجة ملفتة للنظر ، فقد كان يكفي في درس المطالعة ، بعد شرحه وازالة الصعوبات الصوتية منه ان اجد التلاميذ ، يتسابقون لمطالعة الموضوع من الذاكرة ، بعد دقائق قليلة ، قد لا تزيد عن عشر دقائق .

ولقد استغلت هذه الظاهرة العقلية احسن استغلال ، مع تلاميذ الفرقة الاولى الابتدائية فاجعلتهم فوق حفظهم لموضوعات المطالعة ، وكتابتها املاء من الذاكرة فاجعلتهم يحفظون من الشعر اكثر من (مائتي) بيت ، مع ان المقرر عليهم حفظه (ثلاثون) بيتا ، وجعلتهم يحفظون (جزء عم) مع ان المقرر عليهم حفظه منه هو بضع سور من قصار السور ، وبما استخدمته مع هؤلاء الاطفال لرفع درجة تركيز انتباههم الى اقصى حد ، ذلك الاختبار الذي كنت اسميه في كراساتهم (اختبار الذكاء) وهو يتألف من عشر جمل وكل جملة بها عشر كلمات والاخيرة مكونة من عديدين ، كل منها مؤلف من خمسة ارقام . وطريقة هذا الاختبار اني كنت املئ الجملة الواحدة المكونة من عشر كلمات مرة واحدة وعلى التلاميذ بعد ذلك ان يلتقطوا حافظتهم هذه الكلمات العشر بمجرد سماعها ، ثم تكتبها في كراسة الاملاء ، وكانت درجة هذا الاختبار (مائة) درجة وكلمة تسقط من التلميذ عند سماعه الجملة تحسب عليه بدرجة تسقط من درجات اجابته . ولقد نجح هذا الاختبار اكبر نجاح وحقق الكثير من التلاميذ درجات عالية فوق التسعين .

وعندما بدت لي هذه الظواهر العقلية من التلاميذ امنت ان كل طريقة تعليمية ، لا تعتمد على فهم صحيح لسلوك العقل في التعليم ، مصيرها الى الفشل التام .

ولكن ما سر هذه الظواهر العقلية ، وكيف نشأت وما علاقتها بالطريقة التصفية التي اتبعتها مع الاطفال في الحفظ والضبط ، في ظهور هذه الملكات العقلية التي كانت مخبوءة ، ثم تفجرت على هذا النحو الخطير ،



الفوتوغرافية ، لكل ما يقرأ ، وتطبعها في الحافظة
مقترنة بصورها الصوتية .

ثانياً : أن طريقة الكتاب عندما بدأت بأوليات
الهجاء ، وهي الحروف الهجائية في صورها الثلاث ،
باسمائها أولاً ، ثم محركاً بالحركات القصيرة والطويلة ،
وأخيراً صورها ملحقة بحركات التنوين ، هذه البداية
هي البداية الطبيعية ، لصناعة جميع مفردات اللغة ،
وان أبسط مبادئ تعلم الصناعات ، هو البدء بمعرفة
موادها الأولية ، والآلات التي تستخدم في صناعة هذه
المواد وتشكيلها ، واللغة لها آتان : اللسان والقلم .

وإذن فإن من أكبر أخطاء الطرق الحالية توزيع
تعليم الحروف على الأسابيع والشهور الأمر الذي
يقطع الروابط فيما بينها من ناحية وبينها وبين العقل
من ناحية أخرى عند محاولة التذكر ، وتعليم الأطفال
جميع الحروف الهجائية ، في صورها الثلاث يعطي
لهذه الصور فضيلة الترابط الذهني الذي هو الوسيلة
الموحدة للعقل عند محاولة الاستعادة والاسترداد ،
والتذكر .

أما البدء بتعليم الحروف الهجائية ، مقترنة
بالانفعال مثل (وزن) وزرع (أو مقترنة بالاسماء
الجاهدة المصورة مثل (ب : بقرة ، وب : بومة) فمن
اشتبك أخطاء الدرامعة التي اجتلبوها من الغرب
الإنجليزي ، ظانين أن البدء بتعليم الحروف الهجائية
مجتمعة طريقة أزهرية كتابية عقيمة ، قد مضى عليها
مئات السنين ، وهم ما ذهبوا إلى إنجلترا إلا ليأتوا
بالجديد المستحدث عند الإنجليز ، ولم يلاحظ هؤلاء الذين
صاروا أوصياء على اللغة فيما بعد أن بين خصائص
العربية والإنجليزية ، علامات جوهرية كانت تستدعي
عدم التقليد الأعمى .

ثالثاً - أن طفل الكتاب الذي حفظ القرآن كله ،
قد صار متكاملاً من تسجيل (مئات الآلاف) من كلمات
اللغة صوتاً ، وكتابةً ، وهذه الثروة الضخمة الهائلة
تحتوي في داخلها عشرات من القوالب اللغوية
والاستعمالية ، والأسماء من الصور التصريفية ، وكلها
صالحة لأن يقاس عليها غيرها ، مما ليس من الفاظ
القرآن .

وهنا يجب أن نذكر في مقابل ذلك ، ما صنعتته
الطرق الإبريكية من تخريب - واسع المدى من هذه
الناحية :

(فكتاب شرشر) لم يكن به إلا (خمسين كلمة)
مكررة وغير مشكولة في الكتاب كله وكتاب (القراءة
الشعبية لكافة الأمية) الذي ألفه (ستة) من نحول

أمرهم ، كانوا يتعمرون في الضبط ويطلون فيه ، أما
بعد أن تكرر أن يضبطوا المعربات عشرات المرات في
اليوم الواحد ، والذي تكرر مثله في أكثر من مائة
يوم من العام الدراسي ، فإن احتجاج الفاشلين بوجود
العامية الذي يحول بين التلاميذ وبين الفصحى يصبح
لا قيمة له أمام هذه التجربة التي لا تمنع من وجود العامية
بجانب الفصحى ، بل ومن التمكن القوي من استعمال
الفصحى أعراباً وتصريفاً .

معجزة الكتاب في تعليم اللغة

عندما أريد أن اتحدث عن معجزة طريقة الكتاب
في تعليم اللغة ، التي استمرت ثلاثة عشر قرناً قبل
ظهور المدرسة الحديثة ، فإني لا أريد إلغاء المدارس
الحالية ، ولا أيكال تعليم اللغة إلى تقيبه الكتاب ذلك
ما لم يخطر لي على بال . وإنما الذي أريد الوصول إليه
من وراء عرض طريقة الكتاب ، أن أقدم للقراء أسرارها
العجيبة ، كما كشفتموها ، في تعليم اللغة ، من الناحيتين
اللغوية والعقلية وأن استخدم هذه الأسرار ، في وضع
طريقة بديلة منها ، تحقق أهداف طريقة الكتاب
وتزيد عليها ، من غير أن نستعمل أسلوبه ، والمهم عندي
هو البحث عن العناصر الفعالة في هذه الطريقة ، لنمجد
استخدامها والانتفاع بها ، في طريقنا الجديدة ، ويكون
مثلي في هذا العمل ، كمثل الصيدلي عندما يحلل النباتات
الطبية ، ويستخرج منها العناصر الفعالة لأدوية المرضى ،
أو كمثل الصانع الذي يزيد تخلص المصانع من
أكاسيدها .

والآن فإني أستطيع عرض هذه الأسرار فيما
يأتي :

أولاً - أن الكتاب بطريقته البدائية قد وقع اعتباطاً
ومن غير قصد سابق ، على أخطر سر من أسرار تعليم
العربية ، وهو ضرورة الربط الدائم والمستمر بين صناعة
اللغة قولاً باللسان وصناعتها كتابةً بالقلم . ذلك لأن
الكتابة إنما هي رموز لتصوير الأصوات فالتكتابة والقراءة
بمشابة مראتين متقابلتين ، ينعكس في كل منهما ما
يوجد في الأخرى فالصور الكتابية ، على أعين القارئ
تنعكس على لسانه صوراً صوتية ، والصور الصوتية
على أذن السامع ، تنعكس على يده وقلبه صوراً كتابية .
وطريقة الكتاب قد حققت هذا الربط بالقوى الوسائل ،
عندما جعلت الأطفال يكتبون السور القرآنية في
الألواح ، ثم يكررون قراءتها مرات كثيرة ، حتى تحفظ
وتسجل في أذهانهم صورها الصوتية مقترنة بصورها
الكتابية ، وإذا كان الأطفال قد كروا قراءة اللوح مرات
كثيرة ، مع أنهم لم يكتبوه إلا مرة واحدة ، فالحقيقة
أن العين أثناء القراءة تنقل إلى المخ آلاف الصور

المقل عند الإدراك ، انه اذا سبق له ان سجل صورة كاملة لاي شيء ، فانه اذا رأى بعد ذلك جزءا ولو قليلا من هذا الشيء ، فانه سرعان ما يتعرف عليه وسر تعرفه انه عند رؤية الجزء يستحضر العقل من مسجلاته في الحافظة الصورة الكاملة لهذا الشيء . ولهذا نرى الانسان يستطيع التعرف على اصفاف الطيور من رؤية ارجلها او مناقيرها ، ويتعرف كذلك على انواع الحيوان من رؤية رؤسها او ذيولها ومن هنا تعلم ان طفل الكتاب عندما كتب السور القرآنية في اللوح مشكولة وكسر قراءتها وحفظها مشكولة ، فارتبطت الصور الصوتية الكاملة بالصور الكتابية الكاملة فانه يسهل عليه بعد ذلك ، اذا رأى كلمات غير مشكولة ، ان يقرأها كأنه يراها مشكولة امام بصره بسبب اسداء عقله في تلك الحال لصور هذه الكلمات ، كما سجلها وهي مشكولة .

ادوات ثورية في تعليم اللغة العربية

في المقال السابق ذكرت البديل من مادة (الاءاء) التي يشقى السواد الاعظم من التلاميذ بكثرة اخطائهم فيها ، ويشقى المعلمون جميعا في تصحيح هذه الأخطاء ، التي تتكرر ، وتتوالد في كراسات التلاميذ ، كما تتوالد الميكروبات في الاجسام .

وفي هذا المقال سأتقدم البديل من طريقة الكتاب ، وفي صورة ادوات تعليمية ، لم يسبق لها مثيل في تاريخ اللغة العربية الحديث .

وهذه الادوات تستطيع ان تعلم من اللغة في عام واحد ، ما لا يمكن تعليمه بغيرها في عدة اعوام ، كما انها هي الدواء الفعال الذي يستطيع ان يقضي على (وباء الامة) في العالم العربي كله ، فهي تستطيع ان تعلم ملايين الاميين القراءة والكتابة بطريقة حاسمة لا ارتداد بعدها الى الامة ، في اقل من عام واحد ، بالجهود الذاتية ، وفي اوقات الفراغ من غير حاجة الى مدارس ، ولا الى مدرسين ، بل سوف يكتبني الاميون بن يقرأ لهم الدروس في منازلهم او محل عملهم ، وعليهم بعد ان تقرأ لهم الدروس ، ان يكرروا القراءة ويكرروا الكتابة ، المرتبطة بالقراءة في جميع الصفحات .

وهذه الطريقة ، ربما كانت احدث طريقة في العالم المعاصر ، تدور حول استغلال الجهود الذاتية في التعلم باقل ارشاد ، وادنى توجيه .

(واليونسكو) لما رأت فشل مكافحة الامة بواسطة المدارس والمدرسين ، بسبب ضخامة الانفاق ، وشاقة النتائج (كما تقول) انشأت طريقة جديدة سميتها طريقة البرامج المحدودة ، تقوم على توزيع سلسلة

دكاترة معهد التربية ، لا يحتوي الا على ٢٧٢ كلمة مكررة وغير مشكولة في كتاب عدد صفحاته ٢٨٠ صفحة من القطع الكبير ، ولبيت كارثة هذا الكتاب تقف عند هذا العدد الثمانية من الكلمات التي لا تستطيع ان يكافح مثلها (امية) القبائل التي تسكن الغابات في لغاتهم بطريقة هذا الكتاب لا يمثل لها في العالم كله ، فهي تضع كلمة في رأس عبود من الصفحة مفصلة عن باقي كلمات العمود بخط ، ثم تكرر هذه الكلمة ثلاث مرات مع سبع كلمات اجنبية ، والمطلوب من الدارس بعد ان يشار له على الكلمة الموجودة في رأس العمود ، ان يتعرف عليها وهي مكررة مع زملائها السبع!!

البيت هذه هي الطريقة البوليسية للتعرف على المتهمين ، عندما يوضع المتهم بين جمهور من الناس ويطلب من شهود الرؤية التعرف عليه بينهم!!

واخيرا نلاحظ ان طفل الكتاب الذي اودع حافظته كل هذه الثروة الضخمة من كلمات اللغة وتصاريقها واساليبها ، لم يقرأ في كتاب اخر غير القرآن ، ولم يكتب في كراسات موضوعات ملاتية ولا انشائية ، وما حاجته ليقرأ في كتاب ليتعلم منه ، وقد حفظ نصوصا من القرآن تساوي عدة كتب يطالعها ، وكتب في اللوح من هذه النصوص ما يساوي كتابة عشرات الكراسات في الاءاء والانشاء!!

رابعا - ان طريقة الكتاب ، قد داوت من حيث لا يشعر احد ، ولا يعترف له احد بفشل ،خطر عيوب الكتابة العربية ، وهو خلوها من حروف الحركات القصيرة مع وجود الحروف الانفصالية ، التي تنزق اكثر كلمات اللغة .

ولكني نتعرف على الطريقة التي داوى بها الكتاب ، هذين المبيين الخطيرين - نذكر ان من طريقة عمل



كتيبات ، ذات خطوات درجية في تعليم اللغات يستطيع كل فرد بالجهود الذاتي ، وبقليل من الإرشاد والتوجيه ان يكسح أمينه بنفسه وفي اوقات فراغه .

واني لاعتقد ان الذي اقتضه اليوم ، اقوى من طريقة اليونسكو بالنسبة للغة العربية ، لان هذه الادوات المتدرجة ، اكثر التصاقا باللغة ، واقوى تجاوبا مع خصائصها وقدرات الدارسين لها .

على ان مكافحة الامية في مصر ، لم تنجح على امتداد اربعين عاما سلفت للاسباب الاتية :

١ - فساد الطريقة التي تعلم بها اللغة ، وتفاهة الحصول اللغوي الذي كان يقدم للدارسين .

٢ - طول زمن التعلم الذي كان يدعو للسآمة ، والسآمة تدعو للباس ، فالانصراف .

٣ - شعور الدارس ، وهو ذو الاولاد غالبا ، بالهانة عندما يجلس في مقاعد الدرس بجانب زملاء له ، هم في سن اولاده ، وقد يعبثون به ، او يستهزئون !

٤ - ارتباط الدارسين بمواعيد الدراسة ، وضياح الكثير من اوقاتهم ، حاملين كتبهم كالمصفار ، ذاهبين الى المدرسة او راجعين منها !

١ - اللوح الكاتب المفرغ

هو لوح من (الفبير او البلاستيك) مفرغ فيه الحروف والارقام ، وتحت اللوح اوراق بيضاء ، وما على المدارس الا ان يسير قلبه في فراغات الحروف ، حرفا بعد حرف مرات كثيرة اثناء نطقه له ، الى ان يكتمل السطر ، فيرفع اللوح عن الورق ، فيجد السطر مكتوبا ، فيفرج بهذه اللعبة التي علمته الكتابة بهذه الطريقة الآلية ، وعليه بعد ذلك ان يسير قلبه مرة ثانية على ما كتبه اللوح ، حتى يتقوى انطباع صور الحروف على يده بالتكرار ، مع انطباع صورته الصوتية على لسانه اثناء قراءته له عند الكتابة ، فاذا انتهت ورقة وضعها من تحت اللوح وجاء باخرى بيضاء ، وصنع بها ما صنع بالورقة الاولى .

وهكذا الى ان تتم له معرفة قراءة الارقام والحروف وكتابتها بواسطة اللوح .

والسبب في اختراعي لهذه الاداة ، هو ما لاحظته من صعوبة العمل الكتابي على البادئين فيه فقد تبينت ان العمل الكتابي ، عمل هندسي دقيق ، بالغ الدقة والصعوبة ، يقتضي من المبتدئ فيه مرونة كبيرة ، وتجاوبا وتناسقا بين عضلات ، اصابعه ، ويده ، وذراعه ، وكتفه ، وعينه ، والعضلات التي تشترك في العمل

الكتابي قد تزيد عن ١٠٠ عضلة ، اذا عرفنا ان في جسم الانسان ٥٦٠ عضلة ، واما شبكة الاعصاب الي تحرك هذه العضلات ، وترتبط بعضها ببعض وبالمخ ، مصدر التوجيه والتحريك ، فلا يعلم عددها الا الله !

ومن هنا تظهر لنا صعوبة العمل الكتابي على البادئين فيه ، فهم مقيدون اثناء تسير اقلامهم على الورق بمسافات محددة لابساد الحروف وصورها ، واتجاهات خطوطها ، صعودا عن السطر تارة ، ونزولا عنه تارة اخرى ، وسائرة الى الابداء مرة ، وراجعة الى الخلف مرة ثانية وكل هذه الاعمال لا يمكن الاتيان بها بالتقليد والمحاكاة ، الا بعدد زمن طويل ، ومران كثير ، فيها من الخطأ والتشويه اكثر مما فيها من الاجادة والانتقان .

واذا كانت الكتابة بالتقط قد حلت بعض الصعوبات الا ان اللوح المفرغ ، قد حل هذه المشكلة حلا حاسما ، فأعطانا صورا للحروف جيدة الصنع ، مطبوعة على اليد طبعا آليا تهريا في اقل زمن ممكن .

٢ - اللوح الكاتب بالنقط

وهو اداة ثانية مؤلف من ٣٢ صفحة من الكرتون ، فيه اوليات الهجاء واهم مبادئه ، يسير بالدارس بخطوات مرتبة ترتيبا تصاعديا ، كل خطوة هي نتيجة لما قبلها ، ودعامة لما بعدها ، وفيه ترتبط (الكتابة بالنقط) بالقراءة (جميع الصفحات ، فكل كلمة في الكتاب مكتوبة (مرتين) مرة بالخط الكبير للقراءة ، ولانطباع صورته في الذهن ، ومرة بالنقط ، ليسير الدارس قلبه عليها مرات كثيرة ، حتى يتم انطباعها على يده ، وفي ذهنه بقرونة بصورتها الصوتية .

وفائدة هذا اللوح تتمثل في شيئين :

١ - تسير العمل الكتابي ، وربطه بالقراءة .

٢ - السير في تعليم اللغة بخطوات مرتبة ترتيبا تصاعديا ، موافقا لخصائصها من حيث انه يتبدى باوليات الهجاء ، وينتهي بقوالب هجائية وصور تصنيفية ، يستطيع الدارس ان يقيس عليها - قولا وكتابة - العشرات مما يجيء على مثاليها وبذلك تحصل على اكبر قدر من الحصول اللغوي بايسر مجهود .

٣ - كراس القوالب اللغوية

يحتوي هذا الكراس على نحو ٥٠ قالبا من قوالب اللغة ، التصنيفية ، واللغوية والاستعمالية ، والهجائية .

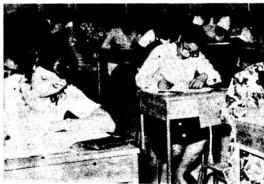
وكل صفحة من صفحاته تحتوي على ٢٠ كلمة تمثل قالبا واحدا ، وميزانا واحدا وفي كل سطر اربع كلمات من هذا الغالب الواحد ، مكتوبة بخط كبير للقراءة ،

أرض الوعود



شعر
خالد البرادي

نادي نجيكراو هي جسمه السفر
واستوقفي في أوراقه خبر
عن راحلين ، وما أبقى تركلهم
زادا يقيت ولا غصنا به ثمر
الريح تصفر في آثارهم عبثا
وأعظم انهكاها : الدهر والفير
ناديه قد توقف التجوى تركله
ويورق الفصن او يستلهم الوتر
ناديه .. ناديه فالاسفار غانية
تمتص عشاقها .. والمقتل الخدر
وفسحة من ربيع الدرب تبلعه
ايماءها فتنة ، اغراؤها صور
وصورة أطرت بالسحر راكضة
اسام عينيه .. لكن أعجم النوطر
ولاح للقدم الظمى واقمها
في عالم ضل عن طغيانه القدر



وتحت كل سطر مكتوب سطر خال من الكتابة ، ليكتب فيه الدارس صور الكلمات المكتوبة في السطر السابق عليه ، وهكذا في جميع صفحات الكتاب .

وفائدة هذا الكتاب يمكن تلخيص اهمها فيما يأتي:
١ - ربط الكتابة بالقراءة في كتاب واحد ، للتيسر والتسهيل .

٢ - تأكيد صور القوالب على اللسان قراءة ، وعلى اليد كتابة ، بكثرة تعدد نماجه .

٣ - يستطيع الدارس له ان يمنع اللغة قولا وكتابة ، اضعاف ما فيه بالقياس على ما فيه .

٤ - يعصم الدارس له من اكثر الاخطاء الصوتية والكتابية التي تشيع بين التلاميذ .

٥ - تمثل هذه القوالب اكثر قوالب اللغة شيوعا ، واكثر مخارج حروفها عند التركيب نطقا ، ولذلك تعطى الدارس قوة لسانية في الفصاحة ، مع الدقة في الكتابة .

٤ - صناعة اللغة

وهو كتاب مطالعة لا تزيد صفحاته عن ٧٠ صفحة ولقد سميت (صناعة اللغة) لاني جعلت كل موضوعاته وقصصه ، تخدم غرضا هاما جدا ، وهو صناعة اللغة باحتذاء ما يحتوي عليه من تصاريح فعلية او اسمية ، واتيسر لغوية ، وتعاير استعمالية ، بصورة متكررة ، وهو الامر الذي لم يفتن اليه مؤلفو كتب المطالعة الذين اهتموا بموضوعات التثقيف وتخصص الإمتاع والتشويق ، ولكن يجب ان يكون هذان وسيلة لا غاية ، اما الغاية فهي صناعة اللغة من وراء هذه الوسائل التي يجب اعتبارها مواد اولية لتصنع من مفرداتها واساليبها اللغة قياسا عليها ومحاكاة لها .

يعقوب عبد النبي

(للبحث بقية)

١٧١



حتى إذا اقتربوا أوهت حشاشتهم
ومزرت التمس حول الآل يستعمر
وما أفساد سوى تشبثت رؤيته
في لجة الليل ، أو ان أزهيح العمر
ثلاثة من عقود العمر ضائعة
بين السحاب التي ضلت بها الفكر
رديه حسبك لو باركت عودته
سيمحي شبح نائت به الفجر

نادي نجيك قولي : هذك السفر
فقد بقيه نداء منك أو حذر
إذا رآك كوجه الطفل مشرقه
ومبسم الصبح في عينيك ينتظر
ألقى عليه قيصاً فيه رائحة
من التراب ، يغد للغمض البصر
ويورق الوعد في عينيك ثانية
وتحى الغربة العمياء والخطر
هيا اصري للشريد النضو حانية :
ارض الوعود تنادي الأمل : هل حضروا؟

يذوي به الطفل ، والإنسان مسجحة
يدبر حباتها الكهان والنذر
مصباحهم مظفا .. في غربة أكلت
ذواتهم .. فاستبيح المأكّل النكر
وعاد .. بل جدد الترحال ثانية
وانشّد للخلم في اعماقه وتسر

نادي نجيك .. قولي : هذك السفر
فقد بقيه نداء منك أو حذر
لا .. بل سليه إذا أرسى سفينته
يوماً على ساحل التاريخ ما الخطر؟
وتابع الدرب نحو الصبح مكتشفا
غداة أرض قلاها البدو والحضر
عروقه بعض ما ينمو بتربتها
وفي حناياه من قراتها سؤر
اراعه جذبته .. والأرض تخبره
عن ظاعنين لهم في ذاته أثر ؟
اراعه ان رأى مرآته عكست
ذل الدراويش لما ستمر النظر
ورن في المسمع التهوب من شبح
- أتى توجه - : اخذ .. انت مهتم ؟
وذاب مجدافه .. بل ذاب غاربه
والموج باق .. وباقي وجهه العكر
وخلفت قفزات العصر صورتها
شوهاء يتنابها الاملال والضجر
كانها من بقايا اعصر سحقت
وفي رماد وقود الياس تستمر

ردي إليك شريداً هذك السفر
طالعت عليه ياغوااتها الأزر
عرائس العصر تستهويه فتنها
وشاة تحت غواء الريش مستتر
غاصت خيالته في ليل رحلته
كما يغوص بظامي التربة المطر
شدته أوهامه شداً لغربته
كما يشد سقما حنمه النضر
كالظالمين تراءى في السراب لهم
مثل الناييع بالانفاق تنهمر

— انزلوا جميعا ..
تبلبلنا في المقاعد .. قمنا وقعدنا ..
كانت السماء تنفث بلا انقطاع انهارا من اللهب
فوق الصحراء التي لا لون لها ولم يكن من شيء امامنا
حتى ولا غبرة في الافق الا هو ..
كان الباص يطفح بالركاب .. كنا اكثر من خمسين
راكبا نتظاهر بالنوم العميق .. عواجيز وشبان ..
نساء مسربرات بعباءات فضفاضة سوداء .. وغفتات
تنطرح على اكتافهن كنزات حمراء وخضراء وصفراء ..
واطفال رضع وغير رضع .. وكان العرق يسبح
على وجوهنا ..

كنت احس انني سجين بين هذا الخليط من الناس
.. كنت افرض بصري عبر الصحراء ، ولكن لا يلبث
ان يرتد الى عينيئ مقلتين بالاسى .. فانكش على
نفسي صامتا .. كان يجلس الى جانبي رجل عجوز
شغل نفسه بعبات مسبحة كانت تتساقط بين اصابعه
.. كان شكله يوحي بالطمأنينة والهدوء خيل الي وانا
انظر الى وجهه ، انه عزاء في هذا القفص ..

— انزلوا جميعا ..
دارت الرؤوس المتعبة .. التفتت الوجوه المعفرة
.. وتقابلت النظرات وكأنها تتسائل عن عدم صموده
هو الينا !
انقرب من احدى النوافذ وقد اتخذت قسما
وجهه المعنونة رسمية صارمة .. ومن خلف زجاج
النافذة ، غرز نظراته الوقحة في الوجوه ثم صرخ
ككلب مسعور :

— قلت انزلوا جميعا ..
ثم استدار وعاد الى مكانه .. وقف على باب
خيمة كبيرة كانت تقوم على جانب الطريق .
قمنا كأننا جسد واحد .. تركنا المقاعد ..
تراحينا على الباب صرخ طفل صرخة طويلة ممدودة
عالية .. وزفر الشيخ العجوز الذي كان يجلس الى
جانبي قائلا :

— ها الملعون .. لماذا لا يصعد هو الينا ؟!
ومدت امرأة ضخمة كبيرة التهدين يدها وهي
تقول :

— عيب عليك .. دعني امر اولاً .
ونزلنا من بطن المدهون بلون ازرق وتكومنا في
ظله الرمى على الارض ..

لم يهتز له جفن .. لم يتحرك .. ظل ينظر
الينا بعينيئ مبلقطين ثم دخل الخيمة .. غاب قليلا
.. ثم عاد يحل في يده رغيف خبز ابيض وقطعة لحم
كبيرة ويصله .. وضع الرغيف وقطعة اللحم على مقعد



الجبار

بقلم الكاتب الفلسطيني
فوزي العمري



خشبي كان موضوعا بجانب الخيمة .. ثم وضع البصلة
بين راحتي كفّه وضغط وهو ينظر اليّنا ..

راح ياكل بشراسة حيوان ..

همس الشيخ المعجوز :

— ها الوحش ..

ثم نظر الى الشباب في القطيع بعينين ضيقتين وعاد
يقول :

— هذا القزم يوقف كل هذا الحشد ! لو كنت شابا
مثلكم لسحقته ..

وسعل سعالا خشنا ..

رد عليه شاب هزيل الجسم :

— خلي بالك طويل يا حجاج ..

وقال اخر كان يحل تحت ابطة كتابا سميكا ..

— الشمس تأكل من ظل الباص .. بعد وقت قصير
سأأكل من لحمنا ..

ضرب على بطنه بيده ثم دخل الخيمة .. وعاد
يحمل زجاجة بيرة انجليزية الصنع .. رفعها الى

فوق رأسه .. أمال رأسه قليلا الى الوراء .. ودلق
ما في الزجاجة في جوفه .. دلق البيرة مرة واحدة ..

ثم تذف بالزجاجة بعيدا .. مسح بيده على شاربه
الكث المحذر فوق فمه .. اخرج سيجارة فبثها في فمه ..

ادارها ثلاث دورات كاملة ربما ليلها .. وبخربة بطينة
مملة تبعت على فوران الدم اشعل عود ثقاب .. اهمله

بين اصبعيه لحظات .. واخذ ينظر اليّنا الخيما والى
عود الثقاب بين اصبعيه حينما اخضر .. ثم وفي بطاء

شديد وبعينين وفحتين مغروزتين غيبسا .. اشعل
السيجارة .. شرب نفسا طويلا ممدودا .. وبالدخان

الخارج من فمه .. شكل دوائر مذنبية بدت وهي معلقة
بالفضاء امامنا كجبال الماشائق ..

كانت الشمس فوق رؤوسنا ..

وكانت تعرب وتعرب كملقطة من حديد ساخن.

مرت الدقائق طويلة .. ممدودة .. مذبة كرووس
الدبابيس الطويلة وهو واقف ما زال يشرب الانتفاس

الطويلة ويخرج الدخان يتلوى من بين شففيه الفيلطتين
المبثلتين .. ثم تذف السيجارة وسحقها بكعب حذائه ..

قطع الارض المتربة وحين وصل الشارع المسفلت ..
ضرب وجهه الارض بقدميه ضربتين .. ثلاثة .. اربعة

ونظر الى حذائه .. ثم تقدم نحونا متباه بصوت كعبه
الضخم ..

وقف قبالتنا .. وعدل من وضع المسدس المتدلي

من وسطه فوق فخذه .. ثم قال وهو ينظر الى اليّنا
بعينين لا تعبير فيهما :

— جوازات السفر ..

امتدت الايدي نحوه يتدافع مجنون .. اسند
جسمه كله الى الباص المدهون بلون ازرق .. وضع

اصابع يده على مقبض المسدس .. وحركها صعودا
ونزولا .. ثم نظر اليّنا بقرف وقال :

— غنم ...

التفت الشيخ المعجوز الى شاب ترك شعره
الاسود الناعم يتهدل فوق جبينه ونفخ :

— الا يحترقنا هذا القزم .. انظر انه يبدو مثل
دوده .. مثل جدار طيني تستطيع ان تسحقه بكعب

حذائك ..

رد الشاب وهو يتباعد عن الشيخ :

— اسكت والا سمعك ..

بصق المعجوز على الارض وراح يتابع الشباب
بعينين حمراروين كانتا تبدوان كجمرتين في وجهه الكهل

الابيض ..

●●

— اطلع الباص ..

وانت ..

وانت ايضا ..

وراح عددنا يتناقص .. حتى لم يبق سوى انا
واثنين آخرين .. احدهما الذي يحمل كتابا سميكا ..

حقوق في وجهي بعينين ممدنتين تطلان من وجهه
الاسمر الشبيه بوجه الحصان .. ثم راح يقلب

صفحات ويتقلب اسفري وغنم قائلا :

— من غرة ؟؟

— الوثيقة تقول اني من غرة

— والى اين ان شاء الله ؟؟

— الى غرة ان شاء الله

— ولماذا من هذا الطريق ؟؟

— خريطة الوطن العربي تقول انه لا يوجد سوى هذا
الطريق ! ان لا يملك ثمن تذكرة طائرة ..

— وما راك في العودة الى غرة عن طريق اخر ؟؟

— ماذا تقصد ؟؟

— اقصد ان ترجع من حيث اتيت ..

— ارجع من حيث اتيت ! كيف ؟؟

— على قدميك .. على رأسك .. المهم ان ترجع من
حيث اتيت وتفتش لك عن طريق اخر ..

— ياسيدي ، لا يمكن الوصول الى غرة الا عبر الاردن
وسوريا ولبنان ثم بطريق البحر من لبنان الى غرة ..

— افن اذهب الى سوريا ولبنان

— لا طريق الى سوريا الا عبر الاردن

... لن تدخل الاردن ..

— لن امكث في الاردن ولا ثائنية

شاسعة لم اعد اكتشفها بنظري .. ولكني لم البث
ان سمعت ديبب خطوات ثابتة .. التفت ورائي ..
فرايت الشاب الطويل العريض الذي كان يحل تحت
ابطله الكتاب السيك ..

قلت وانا اعجب مله رنتي رائحة انسان :

ما الذي جعلك تعود ؟؟

السبب الذي ارجعك ..

هل انت من غزة ؟؟

ليس من الضروري ان اكون من غزة ..

قلت وانا اهد يدي اليه :

انا احيد .. احيد عيد

شد على يدي وقال :

وانا عبدالله السلطي

كان بابكاننا ان نقلته وفتح الطريق

انتظن ذلك ؟

كان واحدا وكنا اكثر من خمسين

كان اقوى منا ..

كيف ؟؟

بالمسدس الذي يحمله

كان بابكاننا ان ننزعه منه

بابكان من ؟؟ انا .. انت .. او العجوز

الثرثار ؟؟

لو تقديت انا او انت ..

او حتى العجوز الثرثار .. لنقدم الجميع ..

وكنا هينما الجدار ..

كلامك صحيح .. ولكن .. المهم من يتقدم اولا ..

ومشينا ساعتين .. ثم استرحنا امام هضبة

رملية .. كانت عنقايد النجوم تتدلى من السماء

السوداء في الفضاء .. خيل الي من المشي الطويل ان

نوعا من الدوران الثقيل يجر السماء فوق رأسي ..

وفي جوف الليل المكثف الجاف البارد كانت الالف النجوم

تتشكل وتتلون بلا انقطاع وتزلق منها بين الفينة

والفينة خطوط لماعة نحو الافق .. ولم اكن استطيع

ان انزع نفسي عن تابل هذه النيران النائية .. فيخيل

الي ان النجوم تتساقط وتنطفئ على رمال الصحراء ..

اشعل عبدالله سيجارة .. وقدم لي واحدة وهو

يقول :

سوف ننحرف يمينا الان الى ان نصل خطوط انابيب

البترول .. نسير معها قليلا .. ثم ننحرف يسارا

لنصل الشارع المسفلت .. ومن هناك تير السيارات.

الغريب انك تعرف الطريق كارك تعيش في الصحراء!

انا من السلط

كان بابكانك ان تير ..

واتركك في الصحراء ؟؟

سحب نفسا طويلا من السيجارة .. ثم اشار

قلت لن تدخل الاردن ..
واخترق آذاننا صوت حاد جاء من داخل الباص:
في اوربا .. اوربا يا عالم .. يستطيع الواحد
التنقل بحرية تامة ..

ماذا تريد ان تقول يا سيد ؟؟

اريد ان اسأل فقط .. هل هذه الارض عربية ؟

عربية

وهل هذا الانسان عربي ؟

عربي

كيف اذن يمنع من السير فوق ارض عربية ؟

هذا ليس من شأنك ..

وتقدم خطوات بطيئة ويده فوق مقبض مسدسه

المتدلي من وسطه فوق فخذه .. صعد الباص ..

تسمح تنزل يا سيد ..

اين ؟؟

كما ترى انا هنا وحدي واحتاج الى من يسلمني ..

وقد وقع عليك اختياري ..

حاولت ان اتدخل .. ولكنه مد يده بوثيقة السفر

وهو يقول :

اتريد ان تبقى فنصبح ثلاثة ؟؟

تناولت وثيقة سفري وانا استشعر غصة تشبه

غصة الهزيمة .. كنت اريد ان اتكلم .. كان لدي ما اقول

.. ولكني وقتت كالصنم ..

حاولت ان اصرخ .. فقط اصرخ .. لكن شيئا ما

حبس صوتي .. ان العجز والغضب يحزان في نفسي

احيانا لن حدي يعجز المرء فيه حتى عن الصراخ ..

قذف نحو سائق الباص بالصره .. قطعة قماش

قذرة كنت الف بها قميصين وسروالين ..

انعمدت عن نقطة (الانش فور) او الجفور

كما ينطلق البدو من سكان الاردن ..

مشيت كثيرا في المدى الواسع .. لا ادري كم

المسافة التي مشيتها لم اعد احس بالشمس فوق رأسي

.. لم تعد تضرب كمبرقة من حديد ساخن ..

مالت نحو الغروب الذي تورد قليلا بيننا ظهرت في الشرق

موجة رمادية اخذت تنتشر في بلاء على مساحة شاسعة

لم اكن احس الا بتجبي وتبلي بللقبض .. كان

صمت رهيب يلغني ..

صمت غريب .. ليس خارجه سوى العدم ..

صمت صحراء خالية من الحياة تماما .. ليس فيها

حياة سواي .. كنت شديد الخوف .. فرقة الحجارة

التي كانت تخنق تحت حذاثي كانت تبعث في نفسي

بعض الطمأنينة ..

وقتت قليلا انشد بعض الراحة ، لكني احسست

بالموت من حولي .. لا صوت .. ولا حركة .. ولا

صدى .. كنت مقطعا عن العالم .. تائها في صحراء

بيده وهو يقول :

— اترى خطوط الضوء التي تشق الظلام .. انها
اضواء السيارات .. من هناك نستطيع ان نركب
سيارة ..

●●

طلب عبدالله من السائق ان يوقف .. خفتت
السيارة من سيرها جعرت ثم توقفت .. فتح عبدالله
الباب وخرج وانا خلفه .. كان البرد قد اجتاح الليل ..
اخذت اعب ببله رثي الليل الرطب .. فاذا بنوع من
النشوة ينبعث في نفسي امام المدى المغلف بالسواد ..
مشينا ساعة ونحن ننحدر لا اعرف اين .. ثم
وصلنا الى طريق ينحدر نحو فراغ كنت استطيع
ان اميز منه بعض الاشجار ...
توقف عبدالله وهو يقول :

— هذه هي طريق توصلك .. ان امالك ساعتين من
الحي .. اول بيت يصادفك في نهاية الطريق ادخله
واسأل عن الحاج « مساعد » .. والان فاتني اتركك
شده على يدي وتسال :

— حتما سنلتقي

استدار واخذ يسير بخطوات واسعة نحو الشمال ..
ظلت عيناى تركضان خلفه متعثرة وهو يعتمد على
في قلب السواد الرمادي .. ثم استدرت واخذت امشي
بخطوات سريعة ثابتة رغم مشاعري المضطربة .. كنت
اشعر بالامل رغم الصمت الذي يلفني .. كانت عيناى
تتجولان في الفضاء ومن حولي لا شيء .. سوى النجوم
القليلة فوق الصحراء ترتجف وتلمع خافتة بطيئة
وقد غشاها ضباب غير مرئي .. وخطوط الفجر الطويلة
البيضاء تتكوى على بطن الافق .. وتلمع هنا وهناك ..
كنت قد اقتربت من بيت الحاج مساعد .. كان
من طابق واحد مبنى بجدار جبلية حمراء مسكوفة
بالكرميد الاحمر .. كانت تلف حوله حديقة واسعة
داخل سور خشبي مرتفع بعض الشيء ..

طرقت الباب .. انفج حيرته من مصباح
ازرق .. وبدا الحاج مساعد حلوا رغم الخسفين ..
معتدل القامة .. عيانه سوداوان .. جبينه عريض ..
ابيض شاربا مفتولان فوق شفتيه الرقيقتين .. فبه
صغير وذكته مدورة لها في منتصفها غرزة ..

فتح الباب وبسمة تنور وجهه .

— تفضل يا بني .

قلت وانا امد يدي اليه :

— انا احمد .. كنت مع عبدالله السلطي ..

قال وهو يشد على يدي بحرارة :

— بيدو عليك التعب الشديد ..

●●

عندما استيقظت بعد سبات عميق احسست

بصداع شديد يعصف براسي احضر الحاج مساعد
جينا وببضا وترا ..

— كل

اخذت قطعة خبز ووضعتها بلهفة في فمي وانا اقول :

— وانت ؟؟

— سبتك يا بني .

عندما انتهيت ، كان الحاج مساعد قد هيا القهوة

.. شعرت باتمناش تحت تأثير قهوة الحاج مساعد .

قال وهو يقدم لي سجارة :

— تكلمت كثيرا قبل ان تنام او وانت نائم .

— اننا تكلمت ؟؟

— تحدثت عن عبدالله وعن الباص وعن الشعب

والقزم الذي نمك من العودة الى بلدك والكلاب

والصحراء .. اما زلت تشعر بتعب ؟؟

— استطيع ان اتابع رحلتي ان لم يكن هناك ما يمنع .

— استعد .. ان الكلاب تتردد على هذا المكان كثيرا .

وما لبثنا ان سمعنا وقع خطوات في الخارج ..

ثم وقف شخص ما لدى الباب برهة ثم فتح الباب ليظهر

القزم بلباسه الكاكي ومسدسه المتدلي من وسطه فوق

مخذه .. تقدم نحوي ويده على مقبض مسدسه ..

وقف قبالي .. تفحصني بعينين مبطلتين من راسي

الى اخفى قدمي .. ثم استدار وسار الى الحاج

مساعد الذي كان واقفا بقاتمه الطويلة المودودة كالجلبل

مسك شاربه من طرفه المفتول .. وشده بقوة .

لم يهتز الحاج مساعد ظل واقفا كالجلبل .. لكن

وجهه الابيض بدا مثل كرة حمراء .. واخذت عضلات

وجهه وبرقت عيانه بريقا غريبا ..

قال ويده ما زالت على مقبض مسدسه :

— الم اقل لك يا حاج انك لن تغفل منا يا حاج ..

كنت اعرف انه سيحضر الى بيتك حين رفض عبدالله

ابن اخيك العبور .. وعاد وراءه فعرفت انك ستؤويه .

ابن عبدالله ؟؟ ابن عبدالله ؟؟

ومرة ثانية رفع يده يريد ان يمسه شارب الحاج

من طرفه الملبس المفتول .. لكنني وفي لح البصر تناولت

فأسا معلقا بنظراني .. رفعتة وهويت به على

راسه مرة ومرة حتى فارق الحياة .. ليت العجوز

الثرثار رأى الجدار وهو يهوي ..

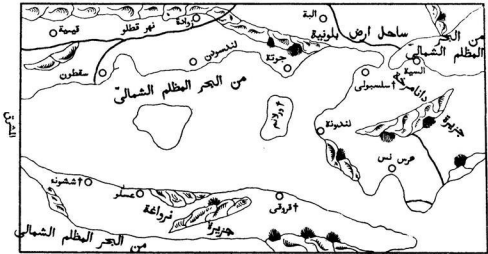
وقف الحاج مشدوها ينظر الى الجثة التي

سقطت بيننا .. ثم رفع نظراته وتفتحت على شفتيه

بسمة كالامل وهو يقول :

— ساهتم انا بالجدار الذي وقع .. يمكنك الان ان

تعبر النهر ..



الشمال

خريطة عن كتاب تزهة المشتاق للإدرسي
(من كتاب أخبار أمم المجوس)

العرب وعلم الجغرافية

بقلم / يوسف محمد النائم

في التجارة بين الهند وإفريقيا الشرقية من ناحية وبلاد دجلة والفرات والإمبراطورية الرومانية من ناحية أخرى فاهتموا بالجغرافية الوصفية فذكروا موارد المياه والجبال والقبائل والطرق كما اهتموا بالجغرافيا الفلكية إذ اعتقدوا على القمر والنجوم في مسارهم وتجاوهمه والتنبؤ بحالة الطقس وتحديد فصول السنة الملائمة للزراعة كما عرفوا الأبراج وبعض الكواكب وكان أهمها الزهرة وعطارد وعرفوا من النجوم ما لا يقل عن ٢٥٠ نجما ذكرها الفلكي عبدالرحمن الصوفي (توفي سنة ٩٧٦ م)

هذا ولم تتعد معرفة العرب بالارض شبيه الجزيرة العربية وإن كانت تمتد أحيانا الى الفرات وجبال طوروس شمالا كما ذكر في بعض قصائدهم .

اما المرحلة الثانية فقد كانت مع بداية ظهور الاسلام

الجغرافية التي نعرفها اليوم ، وقد وصلت الى درجة عظيمة من التطور والتقدم بجميع تخصصاتها ، كان للعالم يشق اقطاره وامه الفضل الكبير في تطورها إذ استطاعت كل امة ان تبد هذا العلم برافد من روافده الكثيرة .

وكان للعرب الدور الاكبر في تطور بعض مراحل علم الجغرافية .

ونحن في هذه الدراسة نحاول ان نذكر بعض ما اعطاه العرب لهذا العلم الذي يحوى بين دفتيه علومًا كثيرة متعددة ، لها الاثر الاكبر في حياة الانسان . وقد مرت الجغرافية العربية بمراحل عدة اهمها ما يلي :

الجغرافية العربية في الجاهلية :

في هذه الفترة ظهر الدور الكبير الذي لعبه العرب

وكما وجد العلم الهندي طريقه للعلوم العربية كذلك نجد « نولجت » و « ما شاء الله » ، وهما اعظم عالمين فلكيين في ذلك الوقت ولهما مصنفات فلكية ايضا ، قد ذكرهما العرب في كتاباتهم العلمية .

كما يذكر « الفزاري » انه هو و « ما شاء الله » اول من وضع الاسطرلاب .

وفي عصر المأمون برزت هذه العلوم بشكل واضح فقد ظهر في هذه الفترة كتاب « تركيب الفلك » ليعقوب ابن طاروق و « السند هند الصغير » للخوارزمي وهو عبارة عن جداول فلكية . كما انتشرت الجداول الفلكية وقد سميت باسم « الزيج » .

اما في عصر هارون الرشيد فقد بدأ اثر الفترات اليونانية يظهر في العلوم العربية ، فانشئت خزائن الحكمة وهي عبارة عن أكاديمية للترجمة ملحق بها مكتبة خاصة كما انتشرت بين العرب المخطوطات اليونانية ومؤلفات ابقراط وجالينوس وارسطو واقليدس وارشميدس وبطليموس صاحب كتاب « المجسط » اي الاعظم الذي كان له الاثر الكبير في تقدم الفلك والرياضيات ليس بين العرب وحدهم بل وفي اوروبا الوسيطة وقد ترجم الخوارزمي هذا الكتاب .

وقد ظهر ايضا يعقوب الكندي كمترجم شهير لكتب الاغريق وجعفر بن محمد بن عمر المعروف بابي معشر صاحب كتاب « زيج ابي معشر » الذي كرس اهتمامه بوجه خاص لدراسة الظواهر السماوية . وابناء موسى ابن شاكر الثلاثة وهم محمد واحد وحسن الذين عكفوا ما بين (٨٥٠ - ٨٧٠ م) على اجراء الارصاد في العاصمة من مرصدهم الذي كانت ترعاه الدولة في باب الطاق على نهر دجلة ومن اشهر كتبهم حركة الفلك وكتاب المخروطات .

وفي هذا المجال ظهر ايضا « البتاني » وقد وصل هذا العالم عند العرب الى ما وصل اليه بطليموس عند الاغريق اذ تولى كل منهما اجمال المعرفة المكتسبة حتى ايام عصره الذي عاش فيه .

وقد استطاع « البتاني » ان يثبت المعلومات بشأن الكواكب الثابتة في سنة (٢٩٩ هـ) ومن اشهر كتبه « الزيج » وكتاب معرفة مطلع البروج .

.. هذا وليس من ذكرنا سوى قلة من علماء العرب ، في هذا المجال ، وهم كثر في مجال الفلك والرياضيات نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر البيروني وابن سينا وفسلة الجبريطي وابن رشد وغيرهم .

وقد قام العرب بقياس الارض ومحيطها وهي

فلعل ظهور القرآن في هذه الفترة حدد الكثير من المفاهيم الجغرافية اذ حدد القرآن الكريم الكثير من اسماء الجبال بل وفي اكثر من موضع ، وبين اهميتها بالنسبة للارض وحركة كل من الارض والنسب .

كما طرح القرآن عدة تساؤلات عند المفسرين العرب عندما اشار اكثر من مرة الى وجود بحرين يفصل بينهما برزخ يمنع تمازجهما وسرعان ما ظهرت الفكرة القائلة بان المراد من هذين البحرين هما البحر المتوسط والبحر الاحمر .

ولعلنا نذكر الان بان المقصود هو برزخ السويس وان كان البعض يرى ان المقصود هو الفرات والخليج العربي. كما وردت في القرآن الكريم ايضا فكرة البحار السبعة واسماء مواضع جغرافية في الجزيرة العربية ، اضافة الى شبه جزيرة سينا وحددت اماكن معروفة في التاريخ مثل مدين وسبأ ومعين وارم . كما ذكرت مصر ويابل واليهود والمجوس والفساري وتريشروالفرس والروم ، ومن القبايل البائدة عاد وثمود وجوج وماجوج قد اُحتل تحديد موضعها مكانة ملحوظة في المصورات الجغرافية لاروبا في العصور الوسطى .

يبينا تظهر المرحلة الثالثة في السنوات الاولى للخلافة .. ففي هذه الفترة انتشرت الفتوحات العربية الاسلامية مما احدث تغيرا شاملا في تصور العرب للعالم واتساع افقهم الجغرافي الا ان معظم الاهتمام كان مركزا لتفسير الايات القرآنية الخاصة بالجغرافية . بالاضافة الى انتشار الاساطير الخيالية لتفسير بعض الايات القرآنية التي تطرقت لشكل الارض .

ولعل الخرائط الجغرافية العربية كانت اكثر تبلورا في عام ٧٠٨ م اذ انه في هذا العام ظهر اول ذكر للخرائط عند العرب ويقترب اسم هذه الخريطة باسم الحجاج ابن يوسف الثقفي ففي عام ٧٠٨ م بعث الحجاج الى قائد قتيبة بن مسلم الباهلي عندما استبطل حصاره لبخارى ان يرسل اليه صورة المنطقة ويقال انه بعث اليه بتعليقاته الاستراتيجية . وقد اعتمد على خريطة هذا القائد . وفي هذه الخريطة استخدمت كلمة صورة وحل محلها فيما بعد لفظ « مصور جغرافي » .

.. هذا وقد ادى العرب دورهم بجدارة عظيمة في مجال « الجغرافية الفلكية والرياضية » . اذ تأثرت الجغرافية العلمية العربية بالحضارة الفكرية اليونانية، ومن قبلها تأثرت بحضارتى الهند وايران ، اذ وصل للينصوري عام ٧٧١ م كتاب « السند هند » وقد ألفه فيلسوف هندي اسمه « براهما جوبتا » . ويحيى هذا الكتاب جداول رياضية فلكية عن تحركات الاجرام السماوية .

هذه الاختراعات العربية لأوروبا عن طريق عودة جيوش الصليبيين إليها . وقد بلغت الجداول الرياضية عند العرب دقة متناهية .

ان تجربة العرب الواقعية كانت اساسا جديدا للجغرافية الملاحية . نقضوا بها كثيرا من التصورات الجغرافية القديمة وخاصة اليونانية منها .

ولعلمه من المفيد أن نتطرق لهذا الجانب من الجغرافية العربية إذ ان الجغرافية الملاحية عند العرب قد فاقت ما كانت عليه عند أقرانهم في الفترة الواقعة ما بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر خاصة .

ولعلم احد بن ماجد قد بلغ القمة في هذا العلم في تلك الفترة ثم تلاه سليمان المهري .

وحيث نتطرق لدراسة هذين العالمين فذلك لانهم من ذوي السمعة العالمية في هذا الميدان ثم انهم جغرافيون عرب وليس هذا فحسب بل انهم من الخليج العربي الذي اظهر امهر قباطنة السفن وبحارتها وجغرافيتها في مجال الجغرافية الملاحية . انهما من ساحل عمان ولهذا وجبت دراستهما والتركيز عليهما لما لهذا العلم من أهمية كبرى .

اولهم « ابن ماجد » هو الشيخ شهاب الدين احمد ابن ماجد النحدي (كنى بالمعلم) واسد البصر وبليت اللؤلؤ وبرابع ثلاثة من المعالة المشهورين في البحر وهم محمد بن شاذان وسهل بن ابان وليث بن كهلان .



ولد في جلفار (1) بالخليج العربي وهو ينتسب لأسرة تشتهر برجال البحر والملاحه وقد عاش في كنف البحر وتعلم الحساب العربي والهندي والزنجي وحساب اهل جاوه والصين ودبح علومه ومعرفته من خلال اشعاره الكثيرة التي يشرع فيها علوم البحار ، الامر الذي حدا ببعض المستشرقين الى ان يذكروا هذه النقطة . فقد عبر بعضهم عنها بقوله : ان كتابات ابن ماجد صعبة شاقة كالرموز تحتاج الى مفاتيح لحلها .

ثالث تجربة بعد تجربة ايراتوسطين وبطليموس وكان ذلك سنة ١٧٢٠م وقد كان الرقم ٦٣ من الابعال .

ولعلم هذا الرقم يظهر ما وصل اليه العرب من الدقة العلمية اذا علمنا ان الميل العربي يساوي ٤٠٠ ذراع سوداء اي اقل من نصف متر قليلا بينما نجد ان أحدث القياسات الحالية تذكر لنا بان محيط الارض الاستوائي ٢٤٩٠٢ من الابعال .

كما انشأ المأمون مرصدين احدهما ببغداد والاخر بدمشق ويقدم لنا هذا العصر الخارطة المأمونية التي صنعها عدة حكماء وصوروا فيها العالم بافلاكه ونجومه وبره وبحره ومدنه واجمه وحددوا فيها الاطوال . كما حفظ لنا العرب خريطة بطليموس . وزادوا عليها . كما ترك لنا الافريسي سنة ١١٥٤ الاثر الوحيد الهام في الكرتوجرافيا (علم الخرائط) الأوروبية .

هذا ولم يقتصر نشاط العرب الجغرافي على المجالات السابقة بل كان لهم الدور الأكبر في مجال « الجغرافية الملاحية » . . اذ يذكر المقدسي في كتابه « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (٣٧٥ هـ - ١٩٨٥م) ان الربابنة في بحر الصين كانوا يجلبون « دفاتر » يستعينون بها على الملاحة ، ومعرفة الطريق ، وان دل هذا على شيء فغالب يدل على ان الراي القاتل بان الملاحين العرب قد عرفوا المرشدات الملاحية والخارطات البحرية منذ القرن العاشر الميلادي صحيح .

وفي الواقع فان العرب بفضل تجربتهم وممارستهم البحرية اظهروا تفوقا في هذا المجال منذ القدم اذ انشأ نجد القصص البحرية وادب المغامرات ممثلا في رحلة التاجر سليمان سنة ٨٥١م التي زاد عليها ابو زيد حسن السرياني فيها بعدد وفيها وصف متع وشيق لاجبار الملاحين والتجار بين سيراف (على الشاطئ الشرقي للخليج العربي) والصين وما تعرضوا له من احوال في تلك الرحلات كما ظهرت ايضا كتب العجائب التي تصف الغريب من حيوان البحر والبر وظواهره مثل عجائب المخلوقات للقرطبي وعجائب البر والبحر للدمشقي الصوفي ، كل هذا كان مادة هليبة فيها بعد لمغامرات السندباد البحري ولقصص الف ليلة وليلة كما هو معروف .

كما اقر « فاسكو دي جاما » انه وجد الملاحين العرب على الساحل الافريقي يستخدمون البوصلة وآلات دقيقة ملاحية وخارطات بحرية .

وقد استخدم العرب الاسطرلاب — وهي آلة قياس ارتفاع الشمس والنجوم — منذ القرن العاشر الميلادي كما عرفوا زاوية الظل وآلة السدس ووصلت

فقلقه يكثر ربع عام
مدة تسعون من الأيام

إذا بدا الدبران وقت الفجر
ما ينبغي الفلك عليه يجري

حتى يرى الفلك استوى بالزبره
فجربوا حيه مما وغزره

من أول المائتين يا فطينا
لاول المائتين والتسعين

فهذه التسعين فيها الفلكا
حقيق من جاز بها ان يشقى

من مضى الوحشة والتندم
وكثرة الوسواس والتالم

اما الضرورات فكم منها جرى
كم جاز فيها احق وخطرا

ولي ابن ماجد في هذا العلم احد علماء الجغرافيه
الملاحيه العربيه الا وهو « سليمان بن احمد بن سليمان
المهري » . وهو معاصر لاحد بن ماجد ولكنه يصغره في
السن . اما اصله فهو من بلاد العرب من مدينة « الشحر »
على الساحل الجنوبي لحضرموت .

وفي اثناء سني حياته التي عاشها بتجاربه البحريه
الف خسة كذب عن الملاحه البحريه اشهرها كتابه
« العمدة المهرية في ضبط العلوم البحريه » .

ويستعرض في هذا الكتاب الفلك البحري والطرق
البحريه في المحيط الهندي مبتدئا من شرق افريقيا
وبحر العرب وخليج البنغال والملايو حتى الهند الصينيه .
كما يتعرض للرياح الموسمية في المحيط الهندي وقد الف
هذا الكتاب عام ١١٧ هـ ، ١٥١١ م

اما الكتاب الثاني فهو « المنهاج الفاخر في علم
البحر الزاخر » وفيه يصف ساحل الهند وموانئه
وجزره كما يعرض فيه للحالة المناخية في المحيط الهندي .

وجدير بالذكر ان مؤلفات ابن ماجد وسليمان المهري
من بعده تعد في جبلتها وثيقه هامة تلخص لنا التراث
الملاحي في المحيط الهندي في القرنين الخامس عشر
والسادس عشر بعد الميلاد . ليس فقط بالنسبة للتجربة
العربية ، بل ايضا بالنسبة لتجارب الفرس والهنود واهل
جاوه وساحل الزنج (شرق افريقيا) .

.. ومن الملاحين العرب في الخليج العربي ايضا
الرحالة « سليمان التاجر » او كما يسميه البعض
« سليمان السرياني » الذي وصلت اليها اخباره عن طريق

ولهم العذر في ذلك لان الرموز التي استعملها ابن ماجد
فيها امام كبير بفتون البحر والملاحه وتحتاج في نفس
الوقت الى معرفة باصول الكلمات والمصطلحات الملاحية
اذ ان بعض هذه الكلمات ترجع الى لغات فارسية
وهندية وسواحلية وجاوية (نسبة الى جاوه في
اندونيسيا) . هذا بجانب معرفة ابن ماجد للغات اهل
المناطق التي وصل اليها في رحلاته فهو يجيد السنسكريتية
ولغة جاوه والزنج (السواحلية) ولغة اهل فارس
بالطبع . وليس ادل على نبوغ ابن ماجد من قصة
ارشاده سفن البرتغال بقيادة فاسكو دي جاما الى
الهند .

اذ ان البرتغال حاولت عدة مرات الوصول لهذه
المنطقة وقد عجزت حتى وصل فاسكو دي جاما المحيط
الهندي بعد عبوره رأس الرجاء الصالح في اول عهد
الملك مانويل الثاني الذي حكم البرتغال بين سنوات
١٤٩٥ - ١٥٢١ م وعند بلوغ فاسكو دي جاما ثغر
ماليندي في مملكة كانبيا (كينيا الان) التقى باحمد بن
مساجد الذي قاده الى الهند . وما ان عرف البرتغال
الطريق الى الهند حتى بدأت غزواتهم تتوالى على المحيط
الهندي .

اما مؤلفات ابن ماجد التي تصل الى الاربعين
مؤلفا تقريبا فقد الف معظمها في النصف الاخير من القرن
الخامس عشر . وقد صاغ اغلبها شعرا .

ومن اشهر مؤلفاته كتاب « القوائد في اصول
علم البحر والقواعد » وكتاب اخر هو « حاوية الاختصار
في اصول علم البحار » .

.. ومن خلال مؤلفاته في القرن الخامس عشر
الميلادي وضع لنا دستوروا للبحر يصلح لكل زمان
ويمكن . كما اهتم بالمصطلحات الملاحية وحقق بعض
المواقع الجغرافية والتاريخية التي وردت في مصنفاته .
كما بين اسماء النجوم الملاحية والمجاصيع النجمية
ومرادفاتها في اللغات الاوروبية .

وقبل ان ننهي الكلام عن ابن ماجد الملاح لا بد لنا
من ان نستعرض قطعة من شعره . وهي قصيدة « غلق
البحر » ويعني بذلك ان هناك مواسم معينة للسفر في
البحر يعتمد فيها على اتجاه الرياح الموسمية في المحيط
الهندي والتي يتبع هبوبها تغير مجرى التيارات المائية
مما يعرض السفن لخطرات عديدة . وتختلف هذه الفترات
في طولها ، وفي موسمها من ساحل لساحل وهذا هو
ما يعنيه ابن ماجد في القصيدة التالية :

وينبغي معرفة الارياح
ومقلق البحر والفتاح

- (٦) ادب الرحلة « تاريخه وأعلامه » - جورج غريب ، دار الثقافة بيروت
- (٧) جهود المسلمين في الجغرافية - نفيس احمد ، دار العلم ، القاهرة
- (٨) ابن ماجد الملاحة - للدكتور انور عبدالمعلم ، دار الكتاب العربي ١٩٦٧
- (٩) من محاضرات الاستاذ الدكتور محمد فاتح عقيل في جامعة الاسكندرية كلية الاداب ١٩٦٩
- (١٠) شمس العرب تسطع على الغرب - للمستشرقة الالمانية زيفريد هونكه ، ترجمة فاروق ببيضون وكبال دسوقي ، المكتب التجاري ١٩٦٤
- (١١) العالم حقائق وارقام - حيد محمد سعيدان ، الكويت ١٩٧١ .

كتابات ابي زيد السيرافي سنة ٨٥١ م . اذ ان هذا التاجر جاب الخليج العربي والمحيط الهندي حتى وصل الى الهند والصين . وتعتبر رحلة التاجر سليمان من اقدم الرحلات العربية البحرية اذ انه كتبها سنة ٢٣٧ هـ - ٨٥١ م . وفيها يصف الطريق للصين وما شاهده من الجزائر والشغور كما يذكر مسلمي الصين وعاداتهم وملوك الهند والصين واحوالهم وطبائعهم وحياتهم الاجتماعية وادارة حكوماتهم وديانتهم وعباداتهم .

كما نقرأ للتاجر سليمان وصفا طريقا للبحار التي كانت تجتازها السفن الى الصين ووصفا لاهالي الصين والهند ولعل هذا سبب اهمية سليمان التاجر كرحالة وجغرافي عربي في مجال الجغرافيا الملاحية .

واخيرا ..

فعمدنا نذكر ابن ماجد وسليمان المهري وسليمان التاجر بما هؤلاء الاطليعة الجغرافية العربية الملاحية عند العرب .

وليس هذا فحسب فقد ظهر ملاحون آخرون في مجال الجغرافية الملاحية في المنطقة العربية لم نتطرق الا لمن تفوق منهم ، وعلى سبيل ذلك نجد ان القائد البرتغالي البورك (١٥١٢) يذكر بانه يدين بفتوحاته في منطقة عمان والخليج العربي الى خارطة بحرية من عمل ريان عربي يدعى عمر ، ذلك ان العرب بحكم تجاربهم البحرية الواقعية وتفوقهم البحري استطاعوا ان يبلوروا بهذا العلم وان يطوروا الاجهزة التي يعتد عليها في المجال البحري . فالى جانب البوصلة والاسطرلاب والكمال وآلة السدس استطاع ملاحو سيراف وعبان ان ينشئوا ادب المرشديات البحرية الرهناجات .

يوسف محمد الفاتم

المراجع

- (١) تاريخ الادب الجغرافي العربي - اغناطيوس بولياتوفتش كراتشوفسكي ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، الجزء الاول والثاني ، جامعة الدول العربية .
- (٢) الموسوعة العربية الميسرة ، باشراف محمد شفيق غريال - مؤسسة فرانكنين ، القاهرة - ١٩٦٥
- (٣) الرحلات - الدكتور شوقي شيف ، دار المعارف ، القاهرة
- (٤) اعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب - للدكتور صلاح الدين المنجد ، الجزئين الاول والثاني ، مؤسسة التراث العربي ، بيروت ١٩٦٠
- (٥) الجغرافية والرحلات عند العرب - للدكتور نقولا زياده ، دار الكتاب اللبناني - بيروت



في المكنبات

المرفأ القديم

ديوان جديد
للمشاعر:

عبدالصاحب الموسوي

قضية الأسلوب والمعنى

(استاذ الادب العربي ورئيس قسم
الدراسات الادبية سابقا بكلية دار
العلوم - جامعة القاهرة) .

الدكتور : أحمد محمد الحوفي

ومنها المستعطف الأسر وهكذا .

والاديب الماهر هو الذي يتخير الالفاظ وينظمها
في النسق اللامع للمقام ، قال الجاحظ في قوله تعالى :
« وقيل يا ارض ابلمي ماك ، وياسماء اقلعي ، وغيش
الماء ، وقضى الامر ، واستوت على الجودي ،
وقبل بعدا للقوم الظالمين » انه اشتغل على الحسن
والطلاوة ، والرواق والمائية التي لا يقدر البشر على
الانتيان بمثلها ، ولا يستطيع افصح الناس مضاهاتها ،
على ان الفاظها المفردة كثيرة الاستعمال ، دائرة على
الالسنه ، بقوة التركيب ، وحسن السبك هو الذي
ظهر فيه الاعجاز .

لكن النقاد قد اختلفوا منذ زمن بعيد في الاصل
الذي يرجع اليه جمال الادب وجلاله ، هو الاسلوب ام
المعنى ام هما معا ؟

وانقسموا الى فرق ثلاث :

١ - انتصر فريق للالفاظ والاساليب ، وردوا اليها
البلاغة ، وذهب بعضهم الى ان المعاني شائعة مباحة
لجميع الناس ، فلا شأن لها في البلاغة ، بل الشأن
في العبارة .

وممن ذهب هذا المذهب ابو هلال العسكري
في قوله : وليس الشأن في ايراد المعاني ، لان المعاني

يتدرج النتاج الفني في ثلاثة ادوار هي الابداع ،
والتنسيق ، والتعبير . اما الابداع فهو التفكير لاستنباط
المعاني .

واما التنسيق فهو تنظيم المعاني وترتيبها .
واما التعبير فهو ابراز هذه المعاني بأسلوب ملائم
لها ، موافق للقراء او السامعين ، مشاكل لمشاعر
الاديب وعواطفه ونفسه .

وما من شك في ان الكلمات هي اللبنات التي يبنى
بها الاديب عمله الفني ، فهي كالدهان في فرجون الرسام ،
وكالآليء في اناهل اللال ، ومثل الاحجار في يد البناء ،
والصخور في محفر النحات ، والاورار في بنان الموسيقار .

ومعنى هذا ان الاديب يستطيع بمواهبه وسعة
حيلته ان يشكل من الكلمات صورا عدة تمثل العواطف
والافكار تنبئلا كالابلا ، وذلك برصفتها وتاليفها في اسلوب
خاص ، لان المفردات التي لا ينظمها اسلوب لا اثر
لها في النفس ، وانما يبين اثرها اذا ما صيغت
لتصور عاطفة او تعبر عن فكرة .

فمثلا بعض الالفاظ فخم رائع يمثل الانفة
والكبرياء ، وبعضها ذو دوي وجلجلة يمثل تصف الرعد
وهزيم الريح وزحف الجند ، وبعضها دمث لين يصور
الاحلام والمانجاة والمناغاة ، ومنها القارص اللاذع ،

للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة
لم يكن للمعنى قدر .

ونقل ابن رشيق عن عبدالكريم النهشلي — وكان
يؤثر اللفظ على المعنى في شعره وفي تأليفه — انه قال:
الكلام الجزل اغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني
اللطيفة عن الكلام الجزل (٢) .

واندفع انصار اللفظ الى دعوى اخرى مبنية على
دعواهم الاولى هي ان الجدير بنسبة المعنى اليه من
يجسن التبيين عنه وان كان قد طرقة من قبله ، فقال
ابو هلال العسكري : « ولكن عليهم اذا اخذوها ان
يكسوها الفاظا من عندهم ، ويبرزوها في معارض من
تأليفهم ، فاذا فعلوا ذلك فهم احق بها من سبقهم
اليها .. وسمعت ما قيل ان من اخذ معنى بلفظه كان
له سارقا ، ومن اخذه ببعض لفظه كان له سالخا ،
ومن اخذه عكسه لفظا من عنده اجود من لفظه كان
اولى به ممن تقدمه » (٣) .

لم يتجه بعض النقاد العرب الى هذه الوجهة
وحدهم ، فقد شاركهم فيها بعض النقاد الافرنج ، فمثلا
بوفون Buffon الكاتب الفرنسي العالم القسى
خطبة عن الاسلوب في الاكاديمية الفرنسية يوم انضم
اليها عضوا ، قرأ فيها عن الافكار شركة مشاعة ، ولكن
الاسلوب من الرجل نفسه ، يريد ان الاسلوب هو
طابع الكاتب وتوقيعه على الفكرة ، ومعنى هذا ان
الانكار — قبل ان يفرغها الفنان في قالبه الخاص — من
الاملاكة العامة ، فاذا عرف كيف يصوغها على الصورة
الملائمة تصبح ملكا خالصا له ، تسير في الناس
موسومة باسمه ، وتعين في الحياة مقرونة باسمه (٤) .

وعلى هذا الراي لابريير ، لانه يقول : « ان
هوميروس واطلاطون وفرجيل وهوراس لم يفوتوا غيرهم
الا بعبارتهم وصورهم » .

وشانونريان يقول : « لا تحيا الكتابة بغير الاسلوب ،
ومن الباطل معارضة هذه الحقيقة ، فان الكتاب الجامع
لاشتات الحكمة يولد ميتا اذا اعوزه الاسلوب » (٥) .

فهل هؤلاء من عرب وافرنج على صواب ؟
ارى من التعسف ان يحفلوا بالاسلوب وحده ، لان
تأثرنا بالنص الادبي ينشأ عن الالفاظ اصواتها
مسبوغة ، وحروفها بفردة ، وكلمات مجردة ، وانما
ينشأ عما بين الالفاظ والمعاني من التناسق والملاءمة
وعن مشاكلة الكلمة لجاراتها ، ومواءمة المعنى لما قبله
ولما بعده ، ومطابقة الكلام لمتقتضى الحال التي يقتضيها
الموضوع ونفسية القائل والسامع .

يعرفها العربي والعجمي ، والقروي والبدوي ، وانما
هو في جودة اللفظ وصفاته ، وحسنه وبهائه ، وتزاهته
وتنقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك
والتركيب ، والخلو من اود النظم والتأليف ، وليس
يطلب من المعنى الا ان يكون صوابا ... ومن الدليل
على ان مدار البلاغة على تحسين اللفظ ان الخطيب
الرائعة والاشعار الزائفة ما علمت لانها المعاني فقط ،
لان الرديء من الالفاظ يقوم مقام الجيد منها في
الانهاض ، وانما يدل حسن الكلام ، واحكام صنعته ،
ورونق الفاظها ، وجودة مطالعها ، وحسن تعاملها ،
وبديع مباتيه ، وغريب معانيه ، على فضل قائله
وفهم منشئه .

واكثر هذه الاوصاف ترجع الى الالفاظ دون المعاني
ولهذا تائق الكتاب في الرسالة ، والخطيب في الخطبة ،
والشاعر في القصيدة ، يبالغون في تجويدها ، ويغنون
في ترتيبها ، ليدلوا على براعتهم ، وحذقهم ببضاعتهم
ولو كان الامر في المعاني لطحروا اكثر ذلك ، فريخوا
كسدا كثيرا ، واسقطوا عن انفسهم تعبنا طويلا .

ودليل اخر ان الكلام اذا كان لفظه حلوا عبقا
وسلسا سهلا ومعناه وسطا دخل في جبهة الجيد ،
وجرى مع الرائع النادر ، فقول الشاعر :

**ولما قضينا من ملى كل حاجة
ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حذب المهارى رحالنا
ولم ينظر القادي الذي هو رائج
اخذا باطراف الاحاديث بيننا
وسالت باعناق المطى الاباطح**

وليس تحت هذه الالفاظ كبير معنى ، وهي رائعة معجبة ،
وانما هي ولما قضينا الحج ، ومسحنا الاركان ، وشدت
رحالتنا على مهازيل الابل ، ولم ينتظر بعضنا بعضا
جعلنا نتحدث ، وتسير بنا الابل في بطون الودية (١) .

وتبعه ابن رشيق فنقل في كتابه العمدة : « واكثر
الناس على تفصيل اللفظ على المعنى ، سمعت بعض
الحذاق يقول : قال العلماء : للفظ اغلى من المعنى
ثينا ، واعظم ثقيبا ، واعز مطلبيا ، فان المعاني موجودة
في طباع الناس ، يستوي الجاهل فيها والحاقد ، ولكن
العمل على جودة الالفاظ ، وحسن السبك ، وصحة
التأليف . الا ترى لو ان رجلا اراد في المدح تشبيه رجل
لما اخطأ ان يشبهه في الجود بالغيث والبحر ، وفي
الاقدام بالاسد ، وفي المضاء بالسيف ، وفي العزم
بالسيل ، وفي الحسن بالشمس ، فان لم يحسن تركيب
هذه المعاني في احسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع

الشعراء والكتاب الذين تتشابه أساليبهم وتتفاوت أفكارهم ، كالمفتني وابن هانيء ، وابن العميد والقاضي الفاضل ، فلباذا تفصل المفتني وابن العميد ؟

السنا متأثرين بالمعاني أيضا ؟

على ان نعت الاسلوب بالجزالة او الرقة او الوضوح او الرنين وما شاكلها ليس على حقيقته فهذه صفات للمعاني ، لان المعنى الفخم له لفظ جزل ، والمعنى الواضح في ذهن الاديب له اللفظ الواضح الذي لا غموض فيه ، ولهذا قال عبدالقاهر الجرجاني : « فاذا رايت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا او يستجده نثرا ، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول : حلو رشيق ، وحسن اتيق ، وعذب سائغ ، وخلوب رائع ، فاعلم انه ليس يبنك عن احوال ترجع الى اجراس الحروف والى ظاهر الوضع اللغوي ، بل الى امر يقع من المرء في فؤاده ، وفضل يقتدحه العقل من زنده » . (٨)

ثم ان الالفاظ هي التي يملكها الجميع ، ويستطيعون ان يتولوها وان يحصلوها من الكتب والدواوين والمعاجم والامواه ، اما المعاني فهي التي تحتاج الى كد وعناء وتفكير واطلاع وبراعة وابتداع ومقدرة خاصة على التعبير عنها وتصويرها تصويرا فنيا ، ولهذا اختلفت المعاني تبعا للذكاء والثقافة والبيئة والسن والتجربة والهيئة .

٢ - ولما انتصر المعنى فمبطلهم في الغرب الكاتب الفرنسي اميل زولا ، وذلك انه لم يستطع مجازاة معاصريه في براعة الاسلوب ، فهو من شأنه في مثل قوله :

« ليس من مطلق الحق — وان عارض يوفون وبودلو وشاتوبريان وفلوبير — ان الكاتب يكتفي ان يعني كل العناية بأسلوبه ليشق له في الادب طريقا يبقى على الابد . ان الشكل عرضة للتغيير والزوال بسرعة ، ولا بد للعمل الكتابي قبل كل شيء ان يكون حيا ، ولا يمكن ان يكون حيا الا اذا كان حقا ، والكاتب لا يفلتر بالخلود الا اذا استطاع ان يوجد مخلوقات حية » . (٩)

لكن زولا تغافل عن حقيقة ، هي ان المخلوقات الحية التي يبدعها الكاتب لا تخلد الا بالاسلوب كما قال شاتوبريان .

وليس ادل على ذلك من انصراف الناس عن كتب زولا بعد موته ، لانها محرومة من حيوية الاسلوب . ومن دعاة هذا المذهب في مصر سلامة موسى ، وطالما كرر في مقالته الدعوة الى ما سماه الاسلوب

وستأتي مناقشة ابي هلال في استحسانه النص اذا كان لفظه جيدا ومعناه وسطا .

والدليل على هذا ان الكلية تروقنا في موضع وتثقل في موضع ، فمثلا خطب الامام علي — وقد اغار النعمان بن بشير على عين التمر ، وامر الامام الناس ان ينهضوا اليه فمناقلوا — فقال : « دعوتكم الى نصر اخوانكم ، فجررتهم جرجرة الجمل الأسر ، وثناقلتم ثناقل النضو الادبر ، ثم خرج الى منكم تجرّيد متذاذب ضعيف ، كانباساتون الى الموت وهم ينظرون » (٦)

فكلمة (جرجرتهم) ملائمة تمام الملازمة للحال التي قيلت فيها ، لان الجرجرة صوت يردده البعير في خنجرته ، واكثر ما يكون ذلك عند التعب والاعياء ، وهم قد تناقلوا وتضجروا وانتحلوا المعاذير في اصوات غامضة ببهمة ، فصاروا كالجمال التي تجرجر وهي مصابة بداء السرر .

ولكن الكلية نفسها ثقيلة في مثل هذا الوضع : فترا الامام فجرجر المصلون وراءه .

وهنا كلية (جنيد) مشكلة للحال وحسنة جدا ، لانها افادت التقليل والتحقير ، ولكنها تعاب اذا وضعت في هذا التعبير . تعتمد الالم في الدفاع عن استقلالها على جنيدها .

وقد جاء لفظ الاخذع حسن الوضع في بيت الصمة بن عبد الله :

حننت الى ربا ونفسك باعدت
مزارك من ربا وشعبا كما معا
تلفت نحو الحي حتى وجدتنني
وجعت من الاصفاء لبنا واخذعا (٧)

لانه ملائم لتصوير حركة العاشق الذي يغادر ديار محبوبته ، فلا يفتأ يلتفت نحوها حتى يكل عنقه ويؤله . وجاء اللفظ نفسه جيد الاستعمال في قول البحري :

واني وان ابلغتني شرف الغنى
واعتقت من رق المطامع اخدعي

لانه مجاز عن انفك الرقبة والتحرر من اسار المطامع . ولكن الكلمة نفسها وردت ممبئة في تصوير ابي تمام الدهر بانه انسان منكبر يصغر خده ، ويلوي عنقه ، والدهر في صروفه اقوى واعنى من اي انسان منكبر :

يا دهر قوم من اخدعك فقد
اصبحت هذا الانام من خرقك

ولو ان الشأن للالفاظ وحدها لتساوى في الميزان الادبي

التلغرافي ، ثم قال في كتابه : (١٠) » وكذلك نحن نتبع الأسلوب التلغرافي ، ونختار الكلمة التي تحمل المغزى فضلا عن المعنى » .

فماذا يريد بالأسلوب التلغرافي ؟

انه يريد ان يكون خاليا من الروعة والقوة والبراعة والجمال والموسيقى ، فلا يمتاز من أسلوب الخطاب المعتاد المتداول في الشئون اليومية ، ولا تتفاوت الأساليب باختلاف الموضوعات والمناسبات واقدار الإبداء والقراء ، يريد (الاستراكية) في اللغة كما قرر في مواضع آخر من كتابه ، ويتجافى عما تقرره البلاغة وعلم النفس الأدبي من ان الأسلوب صدق لما في نفس منشئه ، فالعاطفة القوية لا يعبر عنها إلا بالأسلوب الذي يلائمها قوة ، والعاطفة الهادئة لا يوائسها إلا الأسلوب الذي يشاكلها رقة ، واللغات كلها تعما أحيانا عن تصوير العواطف بكلاباتها الوضعية الحقيقية فليجا الأديب الى شروب من الخيال واغانين الجبال .

ولو ان الأسلوب لا قيمة له إلا ان يكون كالبرقية تسفر بين الناس بالنفع السريع المعالج ما حرص الإبداء على تجويد أساليبهم في اللغات كلها ، ولتساوت العبقرية والركاكة ، وتعادلت القدرة والعجز ، ولاغنت الفهامة والإشارة عن العبارة في كثير من الحالات ،



رمضان

قال أبي دريد لما نقلت أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالآزمنة التي هي فيها ، فوافق رمضان أيام رمض الحر وشدته فسمي به وشهر رمضان مأخوذ من رمض الصائم يرمض إذا حر جوفه من شدة العطش .

ولصار الردي كفا للجد ، والمعاني ندا للصبح ، ولقدت البلاغة قيمتها ومكانتها ، لان البلاغة رتبة فوق اقسام المعنى ، رتبة سمكها الامتياز في التعبير ومطابقتها للمقام واقتنان الاديب في التعبير والتصوير ، لبشنى من أسلوبه على نتاجه حلة من نور وبهاء ، تجتذب القراء الى ان ينهلوا معه جمال رؤاه ، وبراعة خياله ، فيهدده قلوبهم او يبرج مشاعرهم ، او يثر عقولهم .

وانه لمن الجحد لقبية الفن الادبي ان نقصر الأسلوب على التعبير الصحيح عن الفكرة ، لاتنا بهذا نجعله والأسلوب العلمي سواء ، كقولنا الضوء اسرع من الصوت ، ومجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين ، والعشرة عشر المائة ، فهذه كما ترى تعابير صحيحة عن الفكرة ، ولكنها ليست من الفن في شيء ، لانها خالية من جودة السبك ، ومن العاطفة والخيال ، ولا تمثل شخصية القائل وخصائصه ، على حين ان الأسلوب الأدبي يمثل القائل ، حتى ان بعض النقاد راوا ان الأسلوب هو الأدب .

وثمة شيء آخر ان الأسلوب الأدبي ليس مقصورا على نقل الفكرة ، فكثيرا ما يصور العواطف فردية واجتماعية ، وكثيرا ما يرسم مناظر طبيعية او غير طبيعية ، وهو لا يستطيع ان ينهض بهذا الا بوسائل الاقتنان في العبارة والخيال ، كقول الشاعر :

ولما قضينا من مني كل حاجة
وسبح بالآركان من هو ماسح
وشدت على حذب المهاري رحالتنا
ولم ينظر الفادي الذي هو رائح
اخذنا باطراف الأحاديث بيننا
وسالت باعناق المطى الإباض

فقد استحسن هذه الأبيات ابن قتيبة وابو هلال العسكري ، لكنها قصرا حسنها على جودة أسلوبها ، ولم يجدوا فيها معنى ذا قيمة ، لانها غفلا عما بها من براعة التصوير لجماعة قضوا مناسكهم ، واخذوا يعودون الى ديارهم في عجلة وشوق وزحمام وسرعة ، فلم يكن الشاعر في الأبيات معبرا عن فكرة بل كان مصورا لحالته وحالة من معه ، ولقد اجاد فنيبا صور .

على ان تجويد الفكر يقتضي تجويد الصور ، والعناية الدقيقة بالعبارة تدل على جودة التفكير وبراعة التخيل ، كما يرى فلوبيير في قوله : الصور قوة الفكرة كالجسد والروح ، هما في رأي شيء واحد ، وكلها كانت الفكرة جبيلة كان التعبير عنها اجل ، او دقة اللفاظ من دقة المعاني ، او هذه هي تلك .

وليس من التحاليل في شيء ان نصف الدعاة الى
غض النظر عن الاسلوب فانهم عاجزون عن التعبير
القوي الرائع ، لكنهم يحاولون ستر هذا العجز
بالتهمين من شأن الاسلوب ، وادعاء انهم يؤثرون
المعنى ، فهم كما قال ابن قتيبة في بعض معاصريه : «فاني
رايت كثيرا من كتاب اهل زماننا كسائر اهلهم ، وقد
استطابوا الدعة ، واستوطأوا مركب العجز ، واعفوا
انفسهم من كد النظر ، وتلوهم من تعب التفكير حين
نالوا الدرك بغير سبب ، وبلغوا البغية بغير آلة . (١١)

لهذا احتفى الادباء في العالم كله قديما ومحدثين
بروعة اساليبهم ، فاشتهر زهير بتنقيحه ، وعرف
الجاحظ بتأنيته ، واخذ ابو نواس نفسه بتخير كلماته ،
وبرع البحري في موسيقاه ، وتعهد شوقي قصائده
بالمراجعة ، وعرض بعضها على خالصائه ، على حين ان
ابا المتاهية اشتهر بارتجاله ، فجاء شعره — كما
قال الاسمعي — كساحة اللوك ، يقع فيها الجوهر
والذهب والتراب والخزف والنوى .

وكان لافونتين ينظم المثل ثم ينظر فيه عشر مرات
وفي كل مرة يحرر ويغير ، ويحذف ويضيف .

وكان شانويريان يبدأ الصفحة ، ثم يعيدها على
نحو ما كان يفعل لافونتين .

ويقول بسكال انه حرر بعض نصوص البروفنسيتات
خمس عشرة مرة (١٢) .

٣ — اما الكثرة من نقاد العرب والفرنجة فانهم
يذهبون الى ضرورة العناية بالاسلوب والمعنى معا ،
كما سيبين من المقال الاتي .

(١) كتاب الصنائع ٥٥

(٢) المدة ٨٢/١

(٣) كتاب الصنائع ١٨٦

(٤) دفاع عن البلاغة للزبائ ٦٧

(٥) دفاع عن البلاغة ٦٤ .

(٦) شرح نهج البلاغة ٦/١ لابن ابي الحديد ، الجرجرة : صوت
البعير ، الاسر : المصاب في زوره . النصو الادبر : المجلول
المصاب بجروح .

(٧) اللبت : صفحة العلق . الاخضع : عرق في صفحة العلق .

(٨) اسرار البلاغة ٣

(٩) دفاع عن البلاغة ٦٠ .

(١٠) البلاغة المعصرة واللغة العربية ١٩ وقد نقدته بمجلة الرسالة

في الاعداد ٦٢٤ — ٦٢٨ .

(١١) مقدمة ادب الكتاب ٥

(١٢) دفاع عن البلاغة ٦٦

مع
الطول في عميد الفطر
السير ، تقدم من
فراشنا الفلح عزاء
في كل سماعا ، بخالص
الهمسة والطلب
التمنيات ، راجين اذ
نحتف فريبا بعيد
انصد اتمنا العربية على
أعمرها وجمودها وحضرتها
"البياك"



حيث مع: عبد الوهاب البياتي

ARCHIVE

<http://Archive.net>



اجرى الاديب العراقي : عبدالبظاظ ، هذا الحديث
مع الشاعر المعروف : عبد الوهاب البياتي ، الذي
اجاب ، مشكورا ، على ما وجه اليه من اسئلة ..

س ٢ : من خلال قيامك بالعديد من التراجم
الشعرية لشعراء اجانب .. فما هو رايك باهمية
ممارسة هذا النوع من الادب بالنسبة للشعراء الشباب؟

٢ - الشاعر تليذ للوجود والعالم منذ ولادته
حتى موته . اما بالنسبة لي فانا اتعلم من ابسط الاشياء
وانقاس الى اعيق ما في هذا الوجود .
كتاب المطالعة الذي قرأناه في الطفولة ومطرحناه
جانبا اعود اليه احيانا لاتعلم اليه ومنه من جديد .
الاصوات - الاشارات - المرحلات - الموسيقى
الكلمات التي تزهو على شفاه الناس البسطاء والحكباء
والاطفال . آيات زرادشت وهوميروس والمتنبي
ورامبو وايلوار .

الشاعر في نظري قبيص هذا العالم وتليذ وعاشق
وثوري ، يتعلم بقدر ما يدع . لذا فان معرفة لسان
الاخرين والرحيل الى كواكبهم الموحشة واصقاعهم

س ١ : لقد تنقلت بين مدن عديدة في العالم ..
وكتبت لجميع مناصلي العالم .. ما هو اثر الغربة
على قصائدك الشعرية ؟

١ - ان سمائي هي الارض التي ولدنا عليها ؛
وعليها سنوت ، ولذا فان هواجسي المينافيزيقية ليست
ناجسة عن صلاتي بالسواء بقدر ما هي ناتجة عن
صلاتي بهذا العالم وبهذا الوجود . فجذلية تحقق
الوجود وعدم تحققه هي مبعث قلتي وهواجسي ومن ثم
غربتي في هذا العالم .

جدلية الثورة - الولادة والموت - الاحباط -
المخاض - تخطي وتجاوز الواقع الظرفي عبر الإبداع
التاريخي : ولدت عبرها غربتي . واذا كان هناك بعدد
مينافيزيقي في هذه الغربة . فهو ناتج عن المعاناة
الاجتماعية والسياسية والذل الكوني . انها اذن غربة
من اجل الوطن والعالم والانسان والميلاد الجديد .

الغنية بالكوز هي زاد الشاعر في هذا العالم .

س ٣ : كيف تنظر الى التراث العراقي والعربي ..
ثم تحليلك للحضور التاريخي الذي يلا قصائدك ؟

٣ — الحضور التاريخي هو التراث الحي والجوهر الفاعل له . فمن خلال هذا الحضور التاريخي تد الجذر الإنسانية جسورها الى ارض المستقبل . ويصبح التراث في مثل هذه الحالة هو العبور الحضاري من الماضي الى الحاضر فالمستقبل . كما ان انقسام الانسان على نفسه لا يمكن راب صدعه بدون ايجاد هذا الخط الدقيق الحي القادر على الابتعاد عبر وحدات الزمن . الثورة الشعرية والحضارية لا يمكن ان تتحقق دون ايجاد هذا الزمن المفقود .

س ٤ : كيف بدأت تنظم الشعر ؟ ..

٤ — بدأت اكتب الشعر منذ ولادتي ومجيئي الى هذا العالم وكانت قصيدتي الاولى هي صرختي الاولى عندما رايت النور وانا في يد القابلة .

س ٥ : في قصيدتك (احمل موتي وارحل) استمرار لخطك الشعري الجديد الذي ظهر في ديوانك الاخير .. فما هو هذا الاتجاه ؟ ..

٥ — انا احمل موتي وارحل دائماً وابداً ، لذا فان كل قصيدة جديدة اكتبها او كل ديوان جديد هو تبيان جديدة او هبات او عطايا يمنحني اياها هذا الوجود الهارب او الكابوس الذي اعيشه وكما قلت في احدي قصائدي الاخيرة (محكوم بالاعدام : انا مع وقف التنفيذ) و (عقوبتي : الحياة) . هذا الحكم بالاعدام وهذه العقوبة هي دافع كتابتي الاول . الحرائق — الرحيل — الثورة — الغربة — الموت — الحب هو ما ابحت عنه . لهذا فان استمرار خطي الجديد وصعوده نحو ذرى جديدة امر طبيعي .

س ٦ : المسرحية الشعرية .. تعاني من الضمور والتخلف .. لو نظرنا اليها سواء على نطاق القطر العراقي او على النطاق العربي .. ما الطريق الى النهوض بها الى عالم الحيوية والحياة ؟ ..

٦ — المسرحية الشعرية لا تعني ولا افكر بها . ان القصيدة — وهي اسمى اشكال التعبير الشعري — هي ارض ثورتي وولادتي وموتي . فلتنفس المسرحية — يا سيدي — ولتخلف فلست انا المسؤول عن ذلك .

س ٧ : بعد ان غنيت للأطفال والزيتون والانسانية .. ماذا تتوقع للكتابات الشباب من خلال نماذجهم في

مختلف الدول العربية التي زرتها .. وما مدى ارتباطها بالانسان المعاصر ؟ ..

٧ — اتوقع واتمنى للشباب مزيداً من الاحتراق والصدق والاتصاف بقضايا الانسان والايان بثورته ضد اللامعنى والعبث والموت . ومزيداً من الاقتراب من نار الشعر الازلية الخالقة الملهمة ، ونبذ للحظات الزائفة من حياتهم والعودة الى ينباع الاولى للانسان العربي خاصة والانسان في كل مكان عامة .

س ٨ : اين يقف اهبة الالتزام بالنسبة لموقع الشعر المعاصر ؟

٨ — لقد تبعت من الاجابة على مثل هذا السؤال فلتعبد الى البداية : الشاعر طفل ومشروع وثوري . وثورته لا تقتصر على النوم او الوقوف في المحطات او المكبات التي رسمها الآخرون . انها اقتحام لهذا العالم واغتصاب له عن طريق اللغة ، التي هي المعادل الموضوعي للاجابة على التساؤلات . اننا سنقضي عليك ايها العالم القديم غالى الالام .

س ٩ : مقطع من اخر قصيدة لكم لم تنشر ..

٩ — كانت تفصلها عني : سنوات من سفر
اجيال
انهار
قنارات
كتب
مدن
اسوار
لكني كنت اراقبها من ثقب الباب
من قصيدة (العاشقة) لم تنشر بعد

اشتركوا في :
البسائر
ملقى الاقلام المحقة

ملاحظات من الزمن المفقود



بقلم / أحمد حجارى

أحب تيمى الموت

- ١ -

يثرى في نفسه شعورا مختلطا .. وبالتالي يجعل نفسه
كابلود طري في ربي « بلغاريا » ..
قالت له ليلة زفافهما :
— اننى اتحدى اعداء الحياة ..
كان زواجهما القصير في حقيقته تحديا ، لكل تلك
القوى الحاتدة ..

اذن لماذا لا يهتز .. وصديقه الذي سيفارق
حبيبته بهزا من جلاديه .. يسكب لحن الحب
في مسمع حبيبته ..
— يا له من غنى ، كانه خارج في نزهة قصيرة !!
قال ذلك وهو يشهد لقاءهما الاخير .. وعندما
فرق الجلادون بين الحبيين .. كان ثمة خيط خفي .
ولكنه قوى يشد الاثنين اخطائه طلاقات الرصاص
التي دوت فيها بعد ..

وحين جاء دور « صاحبنا » ليلحق برفيقه .. كانت
كلمات الحبيين تترقق في اذنيه .. كانت جدولا وشلالا
لطيفين من الالحان .. فتلقت عليه يلح زوجته بجواره
ولما لم يفلح .. راي الخيط القوي الذي كان يشد
الحبيين ، يضمه هو الاخر .. فهبس :

« سأتيك احيانا في غفوتك ..

مثل زائر بعيد غير منظر ..

فلا تتركيني .. انت .. خارجا على الطريق ..

احب زوجته .. ولكنه احب وطنه اكثر .. وعندها
سأته الفاشيون من السجن الى حيث اعدم بالرصاص ،
تحركت شفتاه بهمس حزين .. قوي :

« — المعركة ضارية لا هواده فيها ..

لقد سقطت وسيحتل اخر مكاني .

وهذا كل شيء ..

ماذا يهم هنا اسم الشخص ..

سأرمي بالرصاص .. ثم .. الدود !!

كل هذا بسيط .. منطقي ..

ولكن في العاصفة ، ستكون دوما معك ..

يا شمعبي ..

ذلك لاننا احببناك ..»

●●

- ٢ -

لم تدمع عيناه فرقا .. فقد سبق ان قال :
« سأرمي بالرصاص .. ثم الدود !! » .. لكن جسمه
الفتى اهتز بالتائر .. بل ان كل موضع من جسمه
قد اهتز ..

لساذا ؟ ..

صديقه الذي يواجه نفس المصير .. والذي
اقتن حبيبته قبل الغاء القبض عليه .. نعم اقترنا .

ولا توصدي بوجهي الابواب !!
ثم .. مضى معهم بمصدر منشرح ..

لصوص

قال التاجر في لفعة عرجاء :

— وسخ .. تذر ..
ولكن الرجل الرث ، اكتفى بتحسس بعض مواضع
الآلم في جسده .. ولم يتبادر الى ذهنه ان معين هذا
التعب .. كان في الداخل ..
عاد الرجل السليط المتزل .. يقول :
— انتم لصوص !! ..
قال الرجل الرث لنفسه :
— من يقصد هذا الرجل ؟
ووجد نفسه يجيب على سؤاله :
— يا لئنا من تعساء ..

كان بعض اولئك الذين يشبهونه ، يحدقون في ثياب
الرجل البدين .. وبعضهم كان يغطي بنظراته ، صغار
الرجل السليط ، واخيرا هزوا رؤوسهم مسلمين ..
وتقالوا :

— بحق له ذلك ..
ولما لم يجد الرجل الرث ، ادنى قوة في دفع
كل تلك الشلالات من السباب .. مضى في طريقه ..
وهو يردد :
— الله (بيننا) وبينك ..

أبيات حزينة

اخيرا انصاع الاب لصراخ الصغير .. فهو يعرف
ان ذلك الصغير المنيد ، لن يتركه هذا الظهر يرتاح
ان هو اخذه بالقوة ، ولم يدعه يذهب حيث اشار .
قال الصغير :

— ما الذي يقوله هذا الرجل الكسبح ؟
اجاب الوالد :

— انه يقرأ ابياتا حزينة ..
— ولماذا هي حزينة ؟
— لانه يتحدث عن اناس قتلوا في كربلاء ..
— ومن قتلهم ؟
— قتلهم الناس الاشرار ..
— ولماذا ؟
— لان الحاكم « يزيد » اراد ذلك ..

— هل كانوا اشرارا ؟
— لا .. بل هم قوم طيبون .. وكانوا يجبون
الناس ..

كان الرجل الكسبح يذيب قلبه ، وهو يرفع عقيرته
بالابيات الحزينة ..

عين جودي بعبرة وعويل وانديب !
سال الصغير مقاطعا الشيخ الكسبح :
— هل كان من بين القتلى ، صغار مثلي ؟
اجابه الشيخ :
— بلى ، يا وندي ، لقد كان من بينهم من هو اصغر
منك ..

— اذن كان « يزيد » ظالما ؟
— اجل .. يا ابني ..
وانحدرت من عيني الصبي دمعتان ، وهو يستسلم
لكف والده التي كانت تجذبه ..

شاعرا!

راح يرقص اصابعه طربا .. عاصفة ضحك
تصف باعطافه ..
كيف حدث له ذلك ؟

كان بعد الاوراق المتجمعة في ادراج مكتبه الفخم ،
وبعد ان تاكد انه ما من قصاصة يحتاجها الا وقد
وجدوها .. اجتاحتها تلك العاصفة ..
اذن لقد جمعت قصائد ديوان اخر .. وهذا ما
يطلبه .. ومضى يخطط ..

سيكون طبع الديوان فاخرا ، فلا داعي لحديث
الخسارة .. فما دام الجمهور يهتر بالتصفيق له في كل
مرة يقف فيها ليلقي كلماته المتنقاة .. ما دام الحال كذلك
فهذا ما سيجعلهم يقبلون على شراء ديوانه .. وبعد
ذلك لا يهم غلاظة النسخة الواحدة منه .. حتى ولو تضرر
احدهم جوعا بعد شرائه .. فذلك ليس من مضمون
الكلمة ، ومن ثم فالامر لا يعنيه ..

هتف وقد تاكد من ربح مشروعه ، فجاوبه اثاث
الحجرة الثمين :

— يعيش الكادحون .. يعيش المسحوقون ..
وغادر منزله مستقلا سيارته الفخمة ، مرتديا
اغفر بدلاته .. ولم يسأل نفسه الى اين ..
ولكن طبعيا الى حيث يقضي السهرة .. احتفاء
بفكرة المشروع ، التي لا بد من نجاحها .. وهناك
سيهتأ بالانتخاب ، ولكنها .. انتخاب من ؟

البحرين احمد حجري

كتاب منحول ومؤلف مجهول

♦♦ ٣ ♦♦

موضوعات الكتاب

بقلم الدكتور أحمد مطلوب

القلوب التي في الصدور ، وجعل من اعطاه العقل الفريزي فاهله وترك شحذه بالادب والتفكر والتميز والتدبر كالانعام . والعقل الموهوب اصل والمكسوب فرع والاشياء باصولها فاذا صح الاصل صح الفرع واذا فسد فسد ، وقد شبه بعض القهاء العقل الفريزي بالبدن وشبه المكتسب بالغذاء ، فكما ان الغذاء لا يستحيل الا بالابدان المحيلة له ولا ينفع الا بحصوله فيها فكذلك العقل المستفاد بالادب لا يتم الا بالعقل الفريزي . فكما ان البدن اذا عدم الغذاء لم يكن له بقاء فكذلك العقل الفريزي اذا عدم الادب ، فاذا صح العقل الموهوب كان بمنزلة البدن الصحيح الذي يستبرئ الغذاء وينتفع به واذا فسد كان بمنزلة البدن المريض الذي لا يشتهي الغذاء ، وان حمل عليه منه ما لا يدعوه طبعه اليه كان زائدا في مرضه واستحال الى الداء الذي هو غالب عليه . والبيان على اربعة اوجه : فمنه بيان الاشياء بذواتها وان لم تبين بلغاتها ، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند اعمال الفكر واللب ، ومنه البيان باللسان ، ومنه البيان بالكتاب وهو الذي يبلغ من بعد وغاب .

قسم ابن وهب كتابه « البرهان في وجوه البيان » الى اربعة اقسام وسمى كل قسم بيانا . وقيل ان يتحدث عن هذه الوجوه الاربعة اوضح الهدف الذي من اجله الف الكتاب وتكلم على العقل الذي به تميز الانسان على سائر المخلوقات وقسمه الى موهوب ومكسوب . والموهوب ما جعله الله - تعالى في جبلة خلقه وهو الذي ذكره في كتابه حيث يقول : « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » ، وقد فضل سبحانه في هذه الموهبة بعض خلقه على بعض على مقدار علمه فيهم كما فضل بعضهم على بعض في سائر اخلاقتهم وافعالهم وقال : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » . والمكسوب ما افاده الانسان بالتجربة والعبر والادب والنظر ، وهو الذي تدب الله - عز وجل - اليه فقال : « افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي

يسمى به كل ما كان البياض فيه لانه مشتق منه » .
ولا يجب القياس الا عن قول يتقدم فيكون القياس
نتيجة ذلك ، وربما كان ذلك في اللسان العربي مقسمة
او مقدمتين او اكثر على قدر ما يتجه من افهام المخاطب
اما اصحاب المنطق فيقولون انه لا يجب قياس الا عن
مقدمتين لاحداهما بالآخرى تعلق . والنتائج ثلاث :
احداها : ما صدر عن قول مسلم في العقل لا خلاف فيه
فتكون النتيجة عنه برهانا كقولنا : اذا كان الزوج ما ركب
من عددتين متساويتين فالاربعة زوج .

والاخرى : ما صدر عن قول مشهور الا انه مختلف
فيه فتكون النتيجة عنه افتناعا كقولنا : اذا كان حق
الباري — عز وجل — واجبا علينا لانه علة لوجودنا ،
فقد وجب حق الوالد ايضا علينا . وصحة هذه النتيجة
انما تنفع بالاحتجاج لمقدمتها حتى يعترف بها من لا يعترف
ثم تصحح .

والثالثة : ما صدر عن قول كاذب وضع للبالغلة
كقولنا : ان اللصوص يخرجون بالليل للسرقة ففلان
سارق ، لانه خرج بالليل . وهذا باطل لان السارق
ليس هو سارق من اجل خروجه بالليل ولا كل من خرج
بالليل فهو سارق .

وبعد ان عرض ابن وهب هذه المسائل تحدث
عن الحد والوصف والاسم وانواع البحث ونسؤال ،
ثم احوال الى الكتب الموضوعة في المنطق لاستيعابها ،
والوقوف عليها بمسوقة هناك . وانتقل الى الكلام على
الخبر ، وهو نوعان : يقين وتصديق ، واليقين ينقسم
ثلاثة اقسام :

احداها : خبر الاستفاضة والتواتر الذي يأتي على
السن الجماعة المتباينة مبهمة وارادتهم وبلدانهم ، ولا
يجوز ان يتلاقوا فيه ويتواطأوا عليه فذلك يقين يلزم
العقل الاقرار بصحته .

والثاني : خبر الرسل — عليهم السلام — ومن
جرى مجراهم من الائمة الذين قامت البراهين والحجج
من العقل عند ذوي العقول على صدقهم وعصمتهم
وظهور المعجزات التي لا يجوز ان تكون بنوع من الخيل ،
وليس في طبع البشر الاتيان بظنها على ايديهم فدللت
من ليس علم المعقولات والتبميز بين المتشابهات من
شأنه .

والثالث : ما تواترت اخبار الخاصة به مما لم
تشهده العامة فان تواترهم في ذلك نظير تواتر العامة .
واما خبر التصديق فهو الذي يأتي به الرجل
والرجلان والاكثر فيها لا يوصل الى معرفته من القياس
والتواتر ولا اخبار المعصومين ولا يعلم الا من جهة الاحاد

فالبيان الاول هو « الاعتبار » ، وذلك ان الاشياء تبين
بذواتها لمن تبين وتعتبر معانيها لمن اعتبر ، وان بعض
بيانها ظاهر وبعضها باطن ، والظاهر من ذلك ما ادرك
بالحس كتبيننا حرارة النار وبرودة الثلج على الملاقاة لها
او ما ادرك بنظرة العقل التي تتساوى العقول فيها مثل
تبيننا ان الزوج خلاف الفرد وان الكل اكثر من الجزء .
والباطن ما غاب من الحس واختلفت العقول في اثباته ،
والطريق الى علم باطن الاشياء في ذواتها والوقوف
على احكامها ومعانيها من جهتين هما : القياس والخبر .
ولاجل ان يوضح هذا البيان تحدث عن هاتين الجهتين
وحدد معناهما ورسم هدفهما ، وقال ان القياس في اللغة
هو التمثيل والتشبيه ، وهما يتعان بين الاشياء في بعض
معانيها لا في سائرهما ، لانه لا يجوز ان يشبه شيء شيئا
في جميع صفاته فيكون غيره ، وهذا ما اشار اليه
البلاغيون فقالوا قدالة بن جعفر : « انه من الامور
المعلومة ان الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل
الجهات اذ كان الشئان اذا تشابها من جميع الوجوه
ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدتا فصار الاثنان
واحدا فمتى ان يكون التشبيه انما يقع بين شئين بينهما
اشتراف في معان تمعها ويوصفان بها وافتراق في اشياء
يفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها » ، وقال ابن
رشيق : « ان المشبه لو ناسب المشبه به مناسبة كلية
لكان اياه » ، وقال ابو هلال : « يصح تشبيه الشيء
بالشيء جملة وان شابهه من وجه واحد . . ولو اشبه
الشيء الشيء في جميع جهاته لكان هو هو » .
والتشبيه في الاشياء لا يخلو من ان يكون تشبيها
في حد او وصف او اسم ، فالشبه في الحد هو الذي
يحكم لشبهه بمثل حكمه اذا وجد فيه فيكون ذلك قياسا
صادقا وبرهانا واضحا ، والشبه في الوصف هو الذي
يحكم لشبهه به في بعض الاشياء فيكون صادقا وفي بعضها
فيكون كاذبا ، والشبه في الاسم غير محكوم فيه بشيء
الا ان يكون الاسم مشتقا من وصف . ووضح هذا
بقوله : « ونحن نمثل ذلك فنقول : ان حلول الحركة في
المتحرك لما كانت حدا له وجب ان يكون كل ما حلت
فيه الحركة يتحركا وهذا حق لا مطعن فيه ، فاما السواد
الذي هو من اوصاف الحبشي فليس حيث وجدناه حكما
لحامله بانه حبشي ومتى قلنا ذلك كنا بطلين ، ولكنا اذا
قلنا ان بعض من يوصف بالسواد حبشي صدقنا . واما
« زيد » الذي هو من الاسماء فليس بموجب ان يكون بينه
وبين غيره من اتفق هذا الاسم له مماثلة ولا مشابهة
الا ان يكون الاسم مشتقا من وصف فيلحق الوصف
ما شاركه من ذلك الاشتقاق ما يلحقه مثل الابيض الذي

وذلك مثل الفتيا في حوادث الدين التي ابتلي بها قوم دون آخرين فسألوا عنها فخبروا بالواجب فيها فنقلوا ذلك ولم يعرفه غيرهم ، وليس يقع ذلك في أصول الدين التي يتساوى الناس فيها وفي فرضها . والناس محتاجون الى الاخذ بهذه الاخبار في معاملاتهم ومتاجراتهم ومكائباتهم فان ذلك اجتمع مما لا يقوم البرهان على صدق المخبر به من عقل ولا تواتر ولا خبر معصوم وانما يعمل في جميعه على خبر من حسن الظن به ولم يعرف بفسق ولم يظهر منه كذب .

وقد يستنبط علم باطن الاشياء بوجه ثالث وهو الظن والتخمين وذلك فيها لا يوصل اليه بقياس ولا يأتي فيه خبر ، وفي الظن حق وباطل ولذلك قال الله — عز وجل — : « ان بعض الظن اثم » . وظن كل امرئ على مقدار علمه وعقله فان من كان عقله صحيحا وتبين معتمدا وعليه ثابتا وسلم من متابعة الهوى فيها يواقع الظن فيه فقد صدق ظننه ، وقد قيل : « ظن الرجل قطعة من عقله » وقيل : « اذا ازدحمت الظنون على سر اظهرته » وقال الشاعر :

الاعمى السذي يظن لك الفـ

من كان قد رآى وقد سمعا

وقال آخر :

تصارت الظنون عليك عندي

وبعض الظن كالمعلم اليقين
ومن الظن الميانة والقيافة والزجر والكهانة واستخراج المعنى والمترجم من الكتب ، فكل ذلك انما ابتدأوا الظن ووضع قاعدة للظن فقال : « فاذا اردت ان يصدق ظنك فميا تطلبه بالظن مما لا تصل الى معرفته بقياس ولا خبر فاقسم الشيء الذي يتبع فيه ظنك الى سائر اقسامه في العقل واعط كل قسم حقه من التسائل . فاذا اتجه لك ان الحق في بعض تلك الاقسام على اكثر الظن واغلب السراي جزمتم عليه واوقعت الوهم على صحته وذلك مثل ان تظن بانسان عداوة لك ولا يبين ذلك في تغير وجهه لك ولا بنو طرفيه عنك ولا في شيء مما يظهر من فعله بك فتحضر الاشياء التي توقع العداوة بين المتعادين ببلك وهي الشبهة والناسبة والمنازعة والمراث والحوار والصناعة والمنزلة المتنازعة والخلاف في الديانة والحدود والنزعة والانساء المتقدمة وما اشبه ذلك من الوجوه الموجبة للعداوة ، ثم تنظر فان اجتمعت بينكما تلك الاحوال او اكثرها واوقعت وهيك على انه عدو لك وكان قوة التوهم منك في ذلك على حسب كثرة ما يجتمع بينكما من الاحوال الموجبة للعداوة فتجنبته وعاملته بمعاملة العدو الذي تدان به اياه ، وان وجدته ينترد ببعضها استبريت صحة الظن بان تنظر هل جمعكما بعض ما يوجب اللطف والمودة وبزيل بلبلة تلك الخلعة من

موافقة في مذهب او احسان بتقديم او غير ذلك ثم وازنت بين الخلال الموجبة للعداوة والخلال الموجبة للصدقة وكنت في حيز الاتوى من الصنفين وان لم تجد بينكما ما يوجب العداوة ازلت عن قلبك باب الظنة وكنت على ما لم تزل عليه لصاحبك من الثقة » .

وقد استخرج امير المؤمنين علي — عليه السلام — اشياء من الاحكام لما عدم البينات فيها ، من ذلك انه لما اتى بامراتين وصبي وادعت كل واحدة منهما ان الصبي ابنها اعمل فكره وظننه فعمل ان من شأن الوالدة الرقة على الولد والمحبة لدفع الائمة عنه فقال لمولاه تنبر : « خذ السيف واقطع الولد نصفين ، وادفع الى كل واحدة منهما نصفه » ، فلما سمعت الوالدة بذلك ادركها الاشفاق فقالت : « انا اسبح بحصتي لصاحبتي » فعمل انه ابنها فسلمه اليها . وكذلك فعل الرجلين السذيين ادعى كل واحد منهما ان الاخر عبده ، فانه علم بايتداخل النفس من الجزع عند معاينة الموت وان تلك الحال تذهل عن لزوم الدعوى وتشغل عن طلب الحجة فتقدمها ومد اعناقها وقال لبعض اصحابه : « اضرب عنق العبد » فثنى العبد عنقه حذرا من السيف فظهر بذلك انه العبد دون الاخر فسلمه الى صاحبه . ومثل هذا نراه في عصرنا عند التحقيق في القضايا التي يعتمد فيها الخبر اليقين والدليل الاكيد ، وهو جانب يعتمد على القدرة والذكاء والمراقبة القائمة على ادراك الحوادث وتأثيرها النفسي .

والملوم التي تحدث عنها في البيان الاول وهي ما تبين عنه الاشياء بذواتها ثلاثة :

١ — اليقين : وهو ما تعترف العقول بصحته ويلزمه الاترار به .

٢ — التصديق : وهو ما تتقنع النفوس به وان كان في الممكن ان يتبع غيره او كل من موقعه .

٣ — الظن : وهو ما يحتاج الى عناية كبيرة بحيث يتبع موقع اليقين عند مستعمله .

وقد شبهت القدماء اليقين من هذه العلوم بحكم القاضي ، والتصديق بحكم صاحب المظالم ، والظن بحكم صاحب الشرطة .

والبيان الثاني هو « الاعتقاد » ، وهذا البيان على ثلاثة اضرب :

١ — حق لا شبهة فيه : وهو علم اليقين ، واليقين ما ظهر من مقدمات قطعية كظهور الحرارة للبتطلب عند تودد اللون وسرعة التنبض واحمرار البول ، او عن مقدمات ظاهرة في العقل كظهور تساوي الاشياء اذا كانت مساوية لشيء واحد وكظهور زيادة الكل على الجزء ، او عن مقدمات خفية مسلمة بين جميع الناس كظهور قبح الظلم ، وكل خبر اتى على التواتر من العامة او التواتر من الخاصة او سمع من الانبياء والائمة .

وكل هذا يوجب العلم ، ومن شك في شيء منه كان أكثما ، ولذلك صار من شك في الباري — عز وجل — كافرا ؛ لأن نتيجة المعرفة به عن مقدمات ظاهرة للعقل وكذلك من شك فيها تواترت به الرواية او تضمنه الكتاب الذي نقله من تجب بنقله الحجة .

٢ — علم مشتبه يحتاج الى تقويته بالاحتجاج فيه : وهو كل نتيجة ظهرت عن مقدمات غير قطعية ولا ظاهرة للعقل بانفسها ولا مسلمة عند جميع الناس بل تكون مسلمة عند اكثرهم او يظهر للعقل تغيرها وتغير الفحص عنها والاستدلال عليها ، وذلك كراي كل قوم في مذاهبهم وما يحتاجون به لتصحيح اعتقاداتهم وتحملهم ، وكل خبر اتى به الاحاد والجماعات التي لا يبلغ خبرهم ان يكون متواترا بل يجوز على مثلهم في العادة الاجتناع على الكذب والانفاق عليه اذا كانوا عدولا ولم يخالف قولهم ما جرى به العرف والعادة ، وذلك مثل روايات كل قوم فيها اعتقدوه واخبارهم عن اهل العدالة عندهم فيها اجتنبوه وكل ظن قويت شواهد وكان الاحتياط في الراي والدين تغليبه . وكل هذه الامور ياتي العلم بها على طريق التصديق لا على طريق اليقين ، والحجة على معنى الانتعاض لا البرهان ، وهي توجب العمل ولا توجب العلم ، وليس على من شك فيها اثم ولا لوم ، وذلك للحكم بالشاهدين وتصديقهما في الحقوق وان كنا لا نعلم حقيقة قولهما ولا نشهد بصحة فيهما لانها قد يجوز ان يكونا كاذبين الا ان علينا العمل بها شهدا به اذا كنا عدلين مرضيين .

٣ — باطل لا شك فيه : وهو ما ظهر من مقدمات كاذبة مخالفة للطبيعة مضادة للعقل او ما جاء في اخبار الكاذبين الذين يخبرون بالمحال وما يخالف العرف والعادة وذلك مثل اعتقاد السفسطائية انه لا حقيقة لشيء من الاشياء وان الامور كلها بالظن والحسبان . ولما ان الله امرنا ان نعتقد الحق ونقول به وان لا نعتقد الباطل ولا ندين به ، وجب ان يحتسب المعتزل لنفسه ودينه فلا يعتقد الا حقا ولا يكذب الا باطلا ولا يقف الا عند شبهة حتى لا يكون من شهد بها لم يعلم او كذب بها لم يحسب بعلمه . وبذلك قالوا : « الامور ثلاثة : فامر تبين لك رشده فاتبعه ، وامر تبين لك غيه فاجتنبه ، وامر استبته عليك فكله الى عالمه » .

والبيان الثالث هو « العبارة » ، ويختلف باختلاف اللغات وان كانت الاشياء المبين عنها غير مختلفة في ذاتها ، وان منه ظاهرا وان منه باطنا ، وان الظاهر منه غير محتاج الى تفسير وان الباطن هو المحتاج الى التفسير وهو الذي يتوصل اليه بالقياس والنظر والاستدلال والخبر . وقد شرح هذه المسائل وفصل القول فيها ، وهي ذات صلة وثيقة بفنون البلاغة وقضايا النقد ، وسنعرض لها في مقال اخر .

والبيان الرابع هو « الكتاب » الذي لم ينشر من قبل في كتاب « نقد النثر » وقد قال عنه المؤلف : « فانه لولا الكتاب الذي قيد علينا اخبار من مضى من الرسل ونقل اليها ما اتوا به من الكتب لما قامت له — سبحانه — حجة علينا اذ كنا لم نشاهدهم ولم نسمع حججهم ولم نعين آياتهم ولانقضت العلوم والروايات بانقراض اهلها وموت من تحملها ولم يبق في ايدي الناس من ذلك ومن اخبار الماضين وانتشار القندين الا اليسير مما تلقاه الخلف عن السلف . وكم سعى ان يكون ذلك وما يرى ان تبلغ من العلوم الخالية والاخبار الماضية ، فلما اعطاهم هذه الموهبة قيدوا بها ذلك اجمع وحفظ ، فصار من قرأ كتب الاولين وتامل اخبار الماضين كمن عمر معهم وكان في ايامهم واخذ عنهم وسبع منهم ، ولذلك قيل : « الكتاب احد اللسانين » لانك اذا قرأت كتابا كانتك قد سمعت لفظ صاحبه ، وقيل : « القلم ابقي اثره واللسان اكثر هذا » ، وقالوا : « اللسان مقصور على الشاهد والقلم ينطق في الشاهد والغائب » ، وقال بعضهم : « استعمال القلم اجدر ان يحضر الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام » .

والكتاب خمسة : كاتب خط ، وكاتب لفظ ، وكاتب عقد ، وكاتب حكم ، وكاتب تدبير ، ولكل واحد من هؤلاء مذنب من الكتابة يخالف مذهب غيره . وقد تحدث ابن رجب عن مذاهبهم فقال عن كاتب الخط انه اما ان يكون وراقا او محررا وهما موصوفان بنقل الالفاظ وتصورها ، ويحتاجان الى ان يجمعان مع حلالة الخط وقوته وسواد المداد وجودته وتفقد القلم واصلاح قلمته الى جودة التقدير والعلم بمواقع الفصول وان يعرفنا من النحو المقصور والمحدود والمؤنت والمذكر ، وحكم الهاء ما يسيلان معه من اللحن والخطا . وجوده التقدير ان يكون ما يفضل من البياض او القرماس او الكاغذ ، او الورق عن يمين الكاتب وشماله واعلاه واسفله على نسب متساوية ، وان تكون رؤوس السطور واواخرها متساوية فانه يتى خرج بعضها عن بعض قبحت وفسدت ، وان يكون تباعد ما بين السطور على قسمة واحدة الا ان ياتي فضل فيزاد في ذلك . واما النحو فهو معروف من كتب النحو ولكن المؤلف تحدث عن بعض موضوعاته مما له صلة بعمل كاتب الخط ، واما الهجاء فهو على ضربين :

١ — ضرب للسمع وضع لاقامة وزن الشعر ولا يثبت في الخط كالحرف المشدد الذي هو في الشعر حرفان والمهدود الذي هو كذلك ، والمدهم الذي هو كذلك ، واشباه هذا .

٢ — وضرب للخط ، والاصل فيه ان يكون على

الكلام ومستنعه ومحتمله ومعرفة الشروط وما يوجب الحكم فيها ، غير انه لا يحتاج الى الكتب والشهادات لانه لا يحكم بشيء يسجل به وانما اليه ان يخرج الايدي الغاصبة ويثبت الايدي المالكة ويلزم الناس الحقوق. ويحتاج كاتب الديوان الى جانب ذلك ان يكون جيد الفهم صحيح الذهن عارفاً باحكام الديوان غير جاهل مع ذلك باحكام الديوان وباحكام الحكام ، ويكون مع هذا قد عرف اصول الاموال التي تحمل الى بيت المال واقسام وجوهها وكيف كان السبب فيها ، واحكام الارضين في وظائفها واملاك اهلها وما يجوز للاسام ان يقطعه منها ووجوه نفقة الاموال وسبيلها وما يجوز في جميع ذلك مما لا يجوز. وقد تحدث ابن وهب عن هذه الامور وعقد فصولاً لوجوه المال الثلاثة : الفیء والصدقة والغنيمة ، ولحكم الارض فيها يجتبی منها ، والوجوه التي تصرف فيها الاموال ، واحكام الخراج .

وكان كلام المؤلف على صاحب الشرطة من اوسع ما وصل اليه من تلك الفترة ، ولا نكاد نعر على كتاب غير « البرهان » فصل القول في هذه القضية ولذلك كانت اهمية هذا الفصل كبيرة في دراسة التنظيمات الادارية في العصر العباسي . وقد ذكر ان صاحب الشرطة انما نصب لشئين :

احدهما : معونة الحكام واصحاب المظالم والدواوين في حبس من امروه بحسبه واطلاق من راوا اطلاقاًه واشخاص من كتبه باشخاصه واخراج الايدي او اقرارها والشد عليها وكذلك جعل له اسم المعونة. والآخر : النظر في امور الجنایات واقامة الحدود والعقوبات والتفحص عن اهل الریب والعناد والعبث والفساد وقمعهم والاخذ على ايدي اللصوص والسراق والمقاترين والنفاق وتعزيز من وجب تعزيره منهم واقامة الحد على من استحق الحد منهم .

وتعرض لاشتقاق الكلمة وقال : « وانما اشتق له اسم الشرطة من زيه ، لان من زي اصحاب الشرطة نصب الاعلام على مجالس الشرطة . والاشراط : الاعلام ومنه قيل : اشراط الساعة » اي اعلامها ودلائلها . فلما دل صاحب الشرطة على نفسه بالاعلام التي نصبها على موضع قعوده سمي بذلك . وشرطة الخيis : الذين كانوا مع امير المؤمنين — عليه السلام — من هذا اشتق لهم اسمهم لان الجيش الخيis لما شهروا انفسهم من بين سائر الجيش بالتبع له بالقتال معه وصاروا اعلاماً في ذلك قيل : شرطة الخيis » .

وينبغي لكاتب الشرطة ان يجعل له مع المعرفة باحكام الله — عز وجل — في الحدود والديات والجراح

حروف الكتابة كـ « الرحمن » الذي اثبت فيه اللام وان كان الادغام في اللفظ قد اسقطها لان الاصل « رحمن » دخلت عليه الالف واللام اللتان للتعريف .

ثم يحتاج المحرر بعد هذا الى مراتب المكاتيبين واستحقاقات كل واحد منهم من الادعية والرسم في عنوانات الكتب اليهم واصناف التحرير وما يليق بكل صنف منها من الخطوط .

وما كاتيب اللفظ فهو المترسل الذي اذا اخذ بقواعد الكتابة واصولها وصل الى الغاية في الجودة ، وكل ما حسن في الشعر حسن في القول ولا أساس باستعمال الشعر وادخاله في الكتب اقتصاراً وتبثلاً ، وان يقصد بذلك مكاتبة النظراء ومن دون النظراء المتوسطي المحل من الرؤساء ، ولا تستعمل في الكتب الى السلطان ووزرائه لان محلهم يكر عن ذلك . واذا استعمل المترسل في كتبه الممثل باداب الاوائل والاستشهاد بالقرآن كان ذلك احلى لمنطقه واحسن عند سامعه . ومتى كان الكاتيب : « بارع المنطق ، جزل الالفاظ ، فصيح اللسان ، ليس بالهز في منطق ولا المتعسف في مقصده » ومعناه الى القلب اسبق من لفظه الى السمع « — فهو اكتب الناس لساناً واحسنهم بيتاً .

وما كاتيب المعقد فهو كاتيب ذكره الله — عز وجل — في كتابه فقال : « فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً » وقال : « كفي بنفسك اليوم عليك حسيباً » وقال : « يرزقون فيها بغير حساب » . وعلم الخاصة والعامة والعقلاء والجهال بيمينمة الحساب واقرارهم بالحاجة اليه في سائر امور معاشهم وامر دنياهم واخرتهم يعني عن ذكر فضله والتشاغل بوصف نعمه ، وقد تكلم المؤلف على كتاب الحساب وهم : كاتيب مجلس وكاتيب عامل وكاتيب جيش ، ثم على الحساب الذي يحتاج اليه الكتاب وهو خمسة اشياء : الجمع والتفريق والتضييف والتصرف والنسبة .

وما كاتيب الحكم فهو كاتيب الحكم ، وامور الاحكام جارية على اربعة اوجه : احدها وهو اعطاهم حكم القضاء ، ثم حكم المظالم ، ثم حكم الديوان واعطاهم حكم الخراج ، ثم حكم الشرطة . والذي يصح جميع هؤلاء انهم لا يستحقون نقل شيء من هذه الاحكام الا بان يكونوا عدولاً في انفسهم عالين بما توجهه مراتب اعمالهم غير متعدين لرسم احكامهم ، يرحمون المظلوم ويخشون غير على الظالم ، ويهترون الحق ولا يبيولون مع الهوى ولا يشروهم الى حطام الدنيا . وعلى الثاني ان يختار لنفسه كاتيب يكون مثله بقرابه في النزاهة والابانة العفة والعدالة والعلم بالحلال والحرام والسنن والاحكام وما يوجب اقسام الكلام ، ومثله كاتيب اصحاب المظالم في جميع اوصافه وعلمه بواجب

الهيوى وترك الرشي . واما معاملته الجند فينبغي ان يختار منهم ذوي البطش والقوة والحيلة والحنكة ممن قد عرف الحرب وجربها ومارسها ، واما معاملته الاموان والمعال فاول ذلك ان يختارهم في اماناتهم وثقتهم وعلمهم بما يسند اليهم ويديرهم فيه حتى يكونوا افضل من يسره الوقت اليه من نظرانهم وان لا يؤثر بالعمل من وجب حقّه وتاكّدت حرمة اذا لم يكن معه كفاية من عمله بل يسع هذا الصنف من الناس ماله فيقضي به حقوقهم عنه ، ولا يضيع امر سلطانه بان يسندها الى من لا يسطّلع بها ، وليكن من يختاره من الكفاة ذوي النزاهة والطلب دون ذوي الشره والفساد .

وخاصة الوزير اربعة : صاحب سره ومشورته وصاحب خبره وكتابه وحاجبه ، وينبغي ان يختار هؤلاء اختيارا حسنا ليستطيع ان يدير الامور وينفع الناس . وهذه الفصول التي ذكرها ابن وهب تخص الكتابة الظاهرة ، فاما الكتابة الباطنة فان القول لما كان فيه ما يحتاج الانسان الى ستره وكتباته ورمزه لنوع من انواع الراي في استعمال ذلك ووجه من وجوه المصلحة المتصودة فيه حتى لا يقف عليه الا من وثق به وسكنت النفس اليه ، جعلت الترجمة والتعمية في الكتاب بدلا من التبيين والرمز والاشارة . وقد تحدث ابن وهب عن هذه المسائل باختصار لانها ليست مما يتصل بادارة امور الناس وتسيير معاملاتهم ، وبذلك جمع كتابه «البرهان في وجوه البيان» ما يحتاج اليه الاديب والحاكم والقاضي والوزير وصاحب الشرطة وصاحب الجيش وغيرهم من ولاة الامور .

هذه موضوعات الكتاب العامة ، اما فنون البلاغة وقضايا النقد فنسعرضها في مقال قادم .
جامعة الكويت — الدكتور احمد مطلوب

والجنائيات : الرقة على المستورين وذوي الهيئات والحرص على سير المسلمين من اهل الروايات ، وان يكون المعو احب اليه من العقوبة بما لم تقم بنبذة على حد ، اما اذا قامت بنبذة على وجوب حد فينبغي ان يحرص على اقامته وان لا تأخذه رافة بصاحبه ولا تعطله رقة على مرتكبته ، ولا تحله التسوية على اصحاب الحدود ، او غيرهم من المفسدين على ان لا يزيد حدودهم او يتعدى بهم امر الله ، وحسب الانسان ان يقف حيث وقف به حكم الله ، فلو علم الله — عز وجل — ان الزيادة في العقوبة على ما حد هو اردع لاهل المعاصي لزاد فيها .

وتكلم بعد ذلك على الحدود والديات والقصاص في الجنائيات وختم كلامه بقوله : « وينبغي لصاحب الشرطة ان يرسم بكل ربع من ارباع عمله صاحباً له عفيف الطمعية عارفاً باحكام الشرطة ، ويقرن به عارضا يكتب قصص المرفوعين اليه وفي اي شيء رغبوا واي صاحب مسلبة رفعهم ، ويعمل ما يجتنح من هذه القصص التي يرفعها عراض الارباع اليه في كل يوم جامعا يعرضه على من توفقه من امير او امام فيوقع تحت ذكر كل رجل فيها يراه في امره من تاديب او حبس او اطلاق او اقامة حد ان كان الموضع اماما . وان ينسخ هذه الجوامع والقصص والتوقيعات وما يخرج بها من الابام من اقامة حد او ايقاع قصاص في ديوان الشرطة ، وكذلك ما يخرج من صلح بين المترايعين ومباراة من مطالبة فلان الذي يثبت من ذلك في مجلس الشرطة نظير ما ثبتت من المحاضر ونسخ السجلات في ديوان الحكم » .

واما كاتب التدبير فهو وزير السلطان واخص اصحابه به ، وينبغي ان يجيع مع الصلاح ادبا وحكمة ومع العقل تجربة وحنكة وان يكون من بيت رياسة . واول ما ينبغي ان يعامل به السلطان توقيته وتعمليته والشكر له على ما رفعه اليه بالنصيحة له والتقرب الى قلبه بكل ما يجد السبيل اليه مما لا يثلم ديننا ولا يسقط مروءة والصبر على ملازمته والاجتهاد في خدمته ، وان يزين له العمل الصالح ويظهر ما في غيره من عيب وفساد ، وقد قيل : « من كتم السلطان نصحه والاطباء مرضه والاخوان سره خان نفسه » . وينبغي على كاتب التدبير ان يختار حكاية من ذوي العلم والسنن والفرائض والامر والنهي والحظر والاباحة واولي المعرفة بدقائق الاحكام واصول الحلال والحرام والعلم بما يوجب اقسام الكلام ، وينتخب ممن هذا وصفه من هو معروف بالستر والصيانة والعدل والديانة ، ثم ينبغي ان يعلم الحكام منه شدة في ذات الله وحرصا على اقامة الحق وانصاف المظلوم ، وان يوقر في نفوسهم ان الجود منهم عنده من ظهرت عفته وطلبت طمعيته وحسنت سيرته وثبتت امانته ونزاهته وبريء من معاملة

“الرائد“

المجلة لصادرة عن

جمعية المسلمين الكويتية

تصدر صباح كل خميس



الفنان التتاري سادري اخون يضع اللصمات الاخيرة لتمثال للشاعر موسى جليل .

مُوسَى جَلِيل

http://ArchiveSheikhaSakhi.com

شاعرتتاري أعدمه النازيون ١٩٠٦ / ١٩٤٤
 ،،لمحة عن حياته نقلًا عن مجلة «سبوتنيك»،،

يستطيع ان يقرأ هذا الكتاب .
 « ان مؤلفه هو موسى جليل ، وقد عرف بين قومه كشاعر . لقد مر بجميع انواع الرعب في معسكرات الاعتقال الفاشية ، ولم يروعه ان يواجه الموت اربعين مرة . ولقد اقتيد الى برلين وسجن ، ثم حوكم لاشتراكه في نشر دعاية سوفياتية في معسكر الاعتقال . وحكم عليه بالاعدام ، وهو الان في انتظار الموت . انه سيهوت ، ولكن هناك ١١٥ قصيدة كتبها في السجن ستبقى من بعده » .

وشاء القدر ان يؤجل تنفيذ الحكم شهرا بعد اخر ، فكان في ذلك فرصة لجليل ليكتب شعرا كان يحفظه زملاؤه ثم ينقلونه حينما يلتقون خارج

في يونيه من عام ١٩٤٢ اشترك الشاعر التتاري موسى جليل في احدى المعارك التي كانت دائسة بين الالمان والروس ، فجرح ثم اسر بواسطة النازيين . ومُرت سنوات لم يسمع خلالها عنه شيء . ولكن بعد فترة طويلة بدأ العالم يسمع من كتابي شعر له عرفا باسم « كراستي المؤبد » .

هذان الكتابان اللذان كتبهما في السجن ، وكتب اولهما بالحروف العربية والثاني بالحروف اللاتينية ، ظهرا في وقت واحد تقريبا ، فقد ظهر احدهما في اعقاب الثاني مباشرة . وجاء على غلاف الاول ما قد يعتبر اهداء او وصية ، وهو ما يلي :
 « الى الصديق الذي بمعرفته اللغة التتارية

الى صديقي (أ.أ.)

لا تأخذ جديا ، يا صديقي ، هذا الخروج السريع .
الحياة الابدية .. من ذا الذي اشتراها ومن الذي باعها؟
الحياة التي يختارها المرء ، كما ترى ، تحدد سنواته
وتضع عليها اختامها .

غير ان الزمن نفسه ، بين مولدك وموتك ،
نسبي ، يظهر من يومك .
فدماؤنا اذ تتدفق قد تكون بداية
ان يستطيع الزمن ان يخمد اعجوبتها الحية ابدًا .

انني احلف بينما : احلف ان اقدم حياتي
من اجل قومي ، وبلادي ، وكل شيء لهما !
من اجل ذلك ، حتى لو كان امامك سنوات بالمئات .
اولا تستعذب الموت في اقرب اللحظات ؟
طوال الليالي التي لا نهاية لظلالها ، ينتظر المرء الفجر:
هكذا انا ، في انتظار انباء من الوطن ، في هذا الجحيم
الشنيع .

فاذا ترامت الى همسة من مسقط رأسي —
وانا فوق ارض غريبة — فيا لها من قوة دافقة !

ان انقذ جلدي على حساب شرفي :
كلا ، بل افضل الموت ! وماذا يبقى
من الحياة حقًا ، اذا كان وطنك العزيز
يصبق رأسا في وجهك — في وجه قاين (1)؟

سعادة كهذه ، لست في حاجة اليها .
بل افضل كثيرا الموت — وليس في هذا خطأ ، انني
احلف .

اما ان اكون غريبا في بلادي .
فحتى ماؤها يحقد علي .

يا زميلي القديم ، انظر ، ان حيائنا اصغر شرارة —
وبلانا التي لم تقهر من اوسع البلاد .
وكما يفعل الشرر فاننا نتلاشى بالموت ، ومن الموت
هكذا بغير خوف يظهر نور سام لا يعلوه شيء .

الزنايات .
واحترج الى قلم وورق ، وهي اشياء لم يكن لها
وجود في المعتقل . وبعد جهد استطاع ان يعثر على
« فضلة » قلم ، اما الورق فقد صعب عليه الحصول
على شيء منه . فكان يكتب ما يتزاحم في قريحته على
هوامش صحيفة المانية كان يسمح بتداولها بين المعتقلين
كما كتب شيئا منه ايضا على هوامش نسخة من قصة
جوته المعروفة ، « غاوست » ونسخة من كتاب
« الصلوات » وكان تيسر المعتقل قد حملها اليه
في زنتائه .
« اين اكتب هذه ؟ » ام انها يجب ان تهوت
ايضا معي ؟ »

جاءت هذه الكلمات على غلاف الكراسة الثانية
من شعر جليل ، وقد سلمها الى رفيقه في الزناينة ،
وكان رجلا بلجيكا يدعى اندريه تيرمانيس اتيح له
ان يبقى على قيد الحياة ، فاستطاع بعد ذلك ان يوصلها
الى السفارة السوفياتية في بروكسل .

اما الكراسة الاولى ، (العربية) فقد حملها الى
جمهورية التتار مواطن لجليل كان قد تسلمها في فرنسا
من اسير سابق ، حجز ردحا مع جليل في « سجن
المؤبد » . وقد ضاع جانب كبير من شعر جليل
قبل ان يستطيع احد تداركه .

وجاءت نهاية جليل على هذه الصورة :
ففي اخر فبراير ١٩٤٤ حمل في عربات السجن
ومعه جعبة من انتار المناهضين للفاشية (عرفوا
بالجليليين) فنقلتهم الى مدينة درسدن ، حيث وضعوا
في زناينات انفرادية ، وهناك حاول النازيون اقتناعهم
بالتوقيع على اقرارات يعلنون فيها ندمهم على
« الجرائم » التي اقترفوها ضد المانيا . ورأى جليل
وصحبه انهم بذلك يدينون بلادهم ، فرفضوا في اصرار
ان يوقعوا على شيء .

وفي ٢٥ اغسطس ١٩٤٤ نفذ حكم الاعدام في
موسى جليل وفي زملائه .

وقد ظهر جليل لأول مرة في ميدان الكتابة في عام
١٩١٩ ، وكان يكتب شعرا ومسرحيات غنائية ، فاصبح
معروفا في جمهورية التتار . غير ان شهرته الحقيقية
جاءت بعد موته ، من جراء نشر ديوانيه « كراستي
المؤبد » . وقد انعم عليه الاتحاد السوفياتي بلقب (بطل)
بعد موته ، كما حصل كتابا على جائزة لينين .
ونأتي هنا بترجمة لتصديتين من الشعر الذي
كتبه في السجن فضاع اكثره .



لقد هلك ، ان موسى مات ،
فلا تسمع ، يا حبيبي ،
مثل هذا الشيء لا يمكن ان يكون ،
وحقير هو قائله عني .

فمن الارض خرجنا ، والى الارض نعود ،
غير ان احدا لا يستطيع ان يفتن اغنية النصر ،
واذا كنت ، كميقاتل شجاع ، اذهب لاهجع في فراشي ،
فمن الذي يجرؤ على القول بان موسى مات واندفرت ؟

(ترجمتها الى الانجليزية مرجريت وتلين)

ترجمة لطيف م . دمياطي

هذا الموت يضع علامته على الولاء ،
وعلى الشجاعة ايضا — فتعلم بلاندا كلها .
اوليس في ذلك بلوغ الاج ، اي صديقي العزيز ،
في حياتنا الفتية ؟ حقا لن يكون هناك مشهد اعظم .

واذا كانت حياتنا تقتطف هكذا غصة ، كاعواد النبات
الطري ،

فان جنونا ستواصل الثبو ، بغير قومننا
وسيقول الشباب : كن شجاعا كذاك ، ففي هذا عظمة !
فكل انسان يجب ان يواجه الموت — هكذا !

(ترجمتها الى الانجليزية جلايس ايفانز)

لا تسمع
يا حبيبي !

اذا جاءوك صباحا باخبار سيئة .
اذا قالوا :

لقد اصابه الكلال ، فتمثر وسقط ،
فلا تسمع يا حبيبي ،
فالرسالة كاذبة ،
واكتذب منها قائلها عني .

فدعاء رايتنا اريقست في غزارة ،
واحترقت كالمشمعل ، واومات قدما ،
فهل كان في وسعي ان اسقط ، او ان احبو ؟
وهل كان في وسعي ان احس بالكلل مرة ؟

واذا جاءوك ظهرا باخبار سيئة ،
اذا قالوا :

انه خائن — لقد خان بلاده ،
فلا تسمع يا حبيبي ،
فمثل هذا الشيء لا يمكن ان يكون ،
ووعده هو قائله عني .

فعندما نشب القتال حملت بندقيتي في يدي
وخرجت لاقاتل ، من اجلك ومن اجل بلدي .
غير صادق لك ؟ غير صادق لبلدي ؟
اذن لمن في الكون صادقا اكون ؟

واذا جاءوك مساء باخبار سيئة
اذا قالوا :

الأديب

تصدر في مطبع كل شهر

يساهم في تحريرها

أدباء العربية من

المحيط إلى الخليج

تسجل إليكم

للأدباء والشعراء والأدبية

في العالم العربي

اتجاهات في الرواية العراقية المعاصرة



بقلم / محمد الأسعد



ARCHIVE

- ١ -

اننا نخطئ اذا كنا نعتقد ان الموقف الشامل من الحياة يمكن توفيره بتوسيع المساحة التي تغطيها احداث الرواية ، او بتعدد شخصياتها ، ونخطئ اذا اعتقدنا ان الشمول يعني الحديث عن قضية عامة ، ونخطئ اكثر اذا اعتقدنا ان الشمول هو الركض وراء احداث الاساليب في العرض الروائي دون ان تقوى اقدامنا على حملنا .

ان كل هذه الاخطاء تشكل في معظمها الحواجز النفسية الكامنة وراء تطلعات وطبوحات الكثير من الكتاب ، ولعل القلة فقط هي التي تدرك ادراكا اعمق ما هو الفرق بين الفن والتزثرة المعيبة .

ان هذه القلة هي التي تتألم الحياة . ان ما شددني الى الروايات الالفه الذكر هو نوع من الاصالة الغريبة ، ونوع من الاحساس بالحياة ، تجسدا عميقا في احداثها . فما هي هذه الاصالة؟ وما هو هذا الاحساس؟

من المعروف ان الرواية العربية لا تملك تاريخا طويلا ، ومن المعروف ان نموذجها الاعلى كان دائما وراء الحدود ، واذا رغبتنا في تحديد الجذور القريبة لن نجد سوى « نجيب محفوظ » وهو يلقي ظله الطويل على مساحة الثلاثين سنة الماضية .

الحديث عن الرواية شائن شأن اي حديث ادبي جاد ، لا بد له من المقدمة التاريخية ، وارقام السنوات ، وقوائم اسماء الكتاب ، لكنني لكي اكون اكثر جدية سأبتدئ ما تعارف عليه الدارسون ، وما تداولوه من اساليب . ومنذ البدء سأخذ من ظهور بعض الروايات البارزة علامات تاريخية على الطريق ، ولن اهتم بقليل او كثير بمئات الاسماء والمطبوعات ، لانني لا اجد فائدة تذكر في طباعتها ونشرها اساسا (١) .

ان الذي دفعني للكتابة عن بعض الاتجاهات في الرواية العراقية المعاصرة هو ملحوظاتي الشخصية لبعض تلك السمات التي بدأت بالظهور مؤخرا في التأليف الروائي ، وبالتحديد منذ اطلاعي على رواية « جواد السحب الداكنة » من تأليف عبدالجليل المياح ، ومنذ اطلاعي على رواية « النخلة والجيران » من تأليف « غائب طعمة فرمان » ، واخيرا بعد اطلاعي قبل عدة اشهر على رواية « ضجة في الزقاق » للاستاذ « غانم الدباغ » (٢) .

لقد وجدت في هذه الروايات شيئا مختلفا عن ما عهدته في الروايات العراقية المعاصرة .

كاتب واخر ، احيانا يبدو لنا ان اجادة وصف الاماكن والاشخاص والمعادات والازياء واللغة يحل طابع الاصاله ، وحيانا تنعم أكثر ويبدو لنا ان التفرّد الشخصي في تناول الأشياء وفي النظر الى الأمور يحل طابع الاصاله ، ونستطيع ان نعدّد أكثر من جانب من جوانب العمل الفني على هذا النوال .. الا ان الصورة الجاذبة المانعة تبدو بعيدة المنال ، وتبرز لنا دائما بأشكال مختلفة .

لقد نقل لنا « كازانتزكي » اليوناني في رواياته ، فاحسناها وادركناها توا كما يحس شذا الوردة ، وكذلك « دستوفسكي » وكذلك « غولكنر » وكذلك « كالدويل » .. ولا لكذلك الروائيون العرب . لمساذا ؟ لقد قلت ان المأساة الشاسعة هي سبب الخلل في مراكز التلقّي ، واستطيع ان اضيف الآن : ان هذا لم يحدث الا بتأثير التفوق والغلبة للعناصر الخارجية على مجال التجربة . التفوق والغلبة بسبب ظروف تاريخية معينة جعلنا من الفرد العربي جهاز استقبال لا يحسن البت ان عامل التفوق كان من العوامل التي بعثت الحس العربي بحياته ذاتها ، وبوجوده الشامل : شعورا وفكرا ، ونقلت له عن طريق الكلية وجودا آخر ، فاصبح يعايشه ذهنيا ويبارس حياته على هذا الاساس ، ولعل تكون متطوّرين لو قلنا ان فقدان الهوية يشكل جذور الأزمة العامة .

هذا الخضوع لواقع التفوق الاجنبي والمصدر عنه لم يكن اراديا في أغلب الاحيان ، ولكنه كان قسريا ، انه واقع ما قبل الولادة الذي فاجأ الاجيال الطالعة . ومن هنا بدأت تسيطر على اتجاهات الرواية العربية عامة والعراقية - وهي مجال بحثنا - خاصة عدة تيارات من السهل ارجاعها الى اصولها الغربية . صحيح ان الادب والفن كما يقال هما ادب وفن الانسان في اي مكان ، ولكن لا يستطيع ان افهم كيف يمكن لادب ما ان يرتفع الى مستواه الانساني الرفيع دون ان يكون قد اندرج ضمن ثقافة معينة .. هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى نلاحظ ان لهات الكتاب الشباب وتسرعهم في كتابة رواياتهم قد ساهم مساهمة كبيرة في اضعاف فرصة العمر امامهم ليصبحوا كتابا . ولا يمكن ان ننسى في هذا المجال المساهمات الضارة والسيئة للنقد الادبي السائد في تكبل المواهب ، وفي تعطيل امكانيات تطورها .. وخاصة ذلك النقد الذي لا يختلف في شيء عن الرسائل الاخوائية وبطاقات الاعياد . لقد قرأت لاحدهم تنقيدا لرواية وصف فيه تلك الرواية بانها رواية الروايات ، مع انها لا تعدو ان تكون بداية لاباس بها لكاتب ناشئ ، والمؤسف في

الا ان الذي ظل مجهولا هو المغزى الكامن وراء هذه الوقائع . لو استعرضنا الحساسية الفنية تاريخيا لوجدنا ان بينها وبين اللغة ترابطا يكاد يجعل من الاولى سببا لتطورات اللغة اللاحقة ، فكل تغير في ايقاع الحياة صاحبه دائما تغير في اساليب التعبير ، والشواهد التاريخية كثيرة ، ولعل اكثرها وضوحا الانتقال من حياة البداوة الى حياة المدن ، وما حمله هذا الانتقال من تغيير في فنون القول .

الا ان هذا الامر الذي يشبه القانون ، كثيرا ما يتعرض للتجديد في حالات خاصة ، وخاصة في حالة الشعوب التي تردد ايقاع حياتها رثيا لمدة طويلة ، مما ادى الى تحجير خلاياها الحية ، واكسب بالتسالي تعبيرها الثقافي جودا غريبا ، وادى بالتسالي الى تاكلها حالما تعرض وجودها للهواء الطلق .

وفي حالة شعبنا العربي - وهو جزء من هذه الشعوب التي تجهدت في ثلاثة العصور طويلة - نجد ان نماذجها الثقافية البائدة ظلت محورا للاهتمام والتقليد حتى اسنت ، وحتى جاء زمن اكتشف فيه انساننا انه خارج التاريخ فعلا . لقد كان « شبنجلر » مصيبا حينما لم يجعل التاريخ هبة مجانية تعطى لاي مولود على وجه الارض .

لقد كانت المسافة بين الوجود وبين التعبير الذي جاسنا من الخارج شاسعة مما ادى الى حدوث خلل في مراكز التلقّي الدماغية بازال يشكل السمة الطاغية على فنوننا وثقافتنا وسياساتنا .. الى آخر تشكيلة المظاهر الوجودية لانساننا العربي .

وفي مجال الرواية : ظلت الرواية العربية تقلد ما لا يفهم ، حتى حلت جميع الاربطة عن الموياء المحترمة ، وبدأ الجسد الحقيقي في التنفس والحركة وباعتقادي ان الاصاله تكن في هذا التطور الحياتي على اعتبار ان الإبداع هو اقتحام في مجال الشعور الحي ، وهو حركة في الحياة ، وليس حركة في الالفاظ ان تردد مجل القضايا والعلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية - اي ما يشكل الانساق الاجتماعية في منطقة ما - في اي عمل ادبي سواء اكان متوافقا مع هذه الانساق أو متجاوزا لها هو ما يطلق عليه الاصاله ، ولقد احسن التعبير عن هذه التسمية الاستاذ « محسن مروة » في بحث تناول فيه الموقف من التراث في الفلسفة والدين (٣) .

الا انني اضيف تحفظا الى هذا التحديد الا وهو : ان هذا الذي ندعوه بالاصاله لا يتبدى لنا دائما بوجه واحد ، وانما تعدد وجوهه ، وتتوغل بين تنساج

امثال هذه الامور هو ان كاتب الرواية المسكين سيعيش على وهبه هذا وربما لن يعيش ليرى انه كان مخدوعا .

ومن نوادر الكتاب المضحكة هو انارتهم لموضوع الازمة في الرواية بناسبة وبدون مناسبة .. ولعل هؤلاء الكتاب هم اكثر الناس امية ، لانهم لايفرقون بين ازماتهم الشخصية وبين فن الرواية كعميل ابداعي عجزوا عن انتاجه بينما يواصل آخرون الكتابة دونها ضجيج .

ساختر للحديث في القسم الثاني عدة نماذج روائية وهي كما اسلفت بعض ما قرأته ووجدت انه يشكل اتجاهات او سمات تبرز بوضوح في الرواية العراقية .

في رواية (المياح) يبدو واضحا ان محاولة نقل قطاع كامل من قطاعات الحياة هي السمة البارزة ، ولقد اختار (المياح) ان يبدأ من النقطة التي تقف فيها (نارية) البدوية عذريتها بعد ان اغتصبها موظف السكك الحكومية ، ثم تابع خطوات هذه الشخصية بعد ان استقر بها التردد في احد المياغي . ولا يجب ان ننسى ان الطفل الذي خلفته (نارية) قبل ان تسقط في حياة المدنية الجديدة بقي حيا بعد ان تولى حارس فقير رعايته .. ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك بواقعية اخذة تشبه واقعية (نجيب محفوظ) في ثلاثيته ، وواقعية (محمد ديب) في ثلاثيته ايضا ، ينتقل الى وصف لهذه الحياة يتوصل فيه الى خلق نماذج بشرية غنية بالحركة والحياة .

ثم تعود (نارية) للبحث عن طفلها بعد خراب (الميغى) وبعد ان تقرر ان تبدأ حياة جديدة .. وتجده .. وتجد ايضا اياه .. موظف السكك الحديدية الذي عاد يعرض عليها الزواج .. ولكنها ترفضه .

لقد تأملت في احداث هذه الرواية طويلا ، وتبادر الى ذهني ان هذه الاحداث من الممكن ان ترتفع الى مستوى الرمز بسهولة كبيرة . ولن اضطر الى صنع معادلات رياضية لترجمة هذا الرمز بل سأشير اليه كإمكانية وكبستوى من مستويات الرواية ، فالموظف الحكومي باعتهائه على (نارية) ثم هربه من تحصل المسؤولية يشير الى طبقة كاملة من الموظفين انشأها الاحتلال البريطاني للعراق واعتمد عليها ، بينما تشير (نارية) الى الارض الواقعة تحت الاحتلال .. لقد ابرز (المياح) في هذا الحدث غنوية الارض ، ولكنه وبشكل حاسم اشار الى هذا التصارع الطبقي القديم .

واذا اردنا من هذا الرمز ان يستكمل جوانبه فنستشير الى الطفل الذي نشأ وترعرع وكانت (نارية) تعلق على العنور عليه امالا كبيرا .. الم يبحث بطل

نجيب محفوظ في (الطريق) عن خلاصه في شخصية الاب المفقود ؟ ان الفارق هنا يكمن في ان (المياح) جعل الخلاص مملقا بوجود الطفل وهو وجود حقيقي ، اما في (الطريق) فقد جعلتنا تجريدات (نجيب محفوظ) نشك فعلا في إمكانية وجود هذا الاب ..

انني لا اقصد من هذه المقارنة الاستنتاج بان احدها ينقل عن الثاني ، بل الذي اقصده هو الاشارة الى ظاهرة (فقدان) في الرواية العراقية . ان (فقدان) فقدان الحبيبة كما هو عند (غالب طعمبة فرمان) وفقدان الطفل كما هو عند (المياح) يشكل بنظري علامة بارزة ، وسيكون مغزاها كبيرا حين ترتبط بالبحث عن خلاص من واقع اخلت قوانينه تهابا .

علامة بارزة اخرى في هذه الرواية وهي تجسيد حياة اشخاص يرتفع المؤلف بها من الخصوصية الفردية الى مستوى النموذج الانساني ، واعتقد ان قيمة هذا التجسيد تكمن في انه يعطي للرواية وجودا ضمن ثقافة معينة .

ان فهم حركة الواقع وتأمل اعماق الحياة ليسا على مستوى واحد في الادب ، قد تكون الدعوة مشتركة بين الجميع ، ولكن ما اراه انا قد لا يراه الآخرون ، وهكذا يتحكم الموقع الطبقي والثقافة والحساسية الفنية .. وهذه الأخيرة هي اللغز الذي لا يحل — في صياغة شخص الرواية ، وفي مدها بهذه النكهة التي اسبغها الادراك عن طريق الاحساس .

وفي رأيي ان الاحساس العميق بالزمن والتغير يشكل اهم صفة كونية تنتظم الاعمال الادبية . وليس ادراك التناقض الا وجهان وجوه هذا الاحساس الشامل بالتغير .

اننا نجد هذا الاحساس بالزمن بارزا في الروايات الواقعية بشكل حاد ، واستطيع ان ألمح تصور الفناء الشامل وهو يطغى على تفكير (نجيب محفوظ) و (ديستوفسكي) و (ديكنز) .

ولكن هذه الحساسية القديمة قدم التاريخ لدى الانسان قد انتظمت في القرن الاخير ضمن فلسفة تضالفة تفسر صعود الانسان وامانيته في تحقيق الوجود .

في (النخلة والجيران) لا يبدو ان للبطل الواحد وجودا ، وهذا اتجاه حقيقي ، واذا بدا ان هنالك شخصية ما قد استأثرت باحداث الرواية فليس معنى ذلك ان للبطل الواحد كما هو في واقعية القرن التاسع عشر وجودا . ان الهدف هنا واضح لدى الكاتب : تحسس حياة كاملة ، تتعاقب عليها الشخصوس بكل ما يمثل هؤلاء من رموز اجتماعية ، وانا لا اميل

الذي يطلق عليه اسم المجتمع تحتاج الى اكثر من مهارة
وصف الالفاظ ، تحتاج الى الفكر العميق الذي يستنبط
التيارات العميقة في الوجود البشري .

ان هاتين الروايتين وهما بتحقيق الدعوة للرواية
الانسانية لا تفقدان خاصية الاقليمية ، فلا يمكن لاحد ان
يجعل ان الشخصيات بأعماقها النفسية تمثل وجودا
معينا على الخارطة ، وتحمل هوية معينة ، وباعتقادي
ان هذا التحقق هو من ابرز السمات .

ولكن اذا كان هذا هو حال روايات الاحساس
بالشمول ، فكيف يمكن لرواية البطل الواحد ان تتقدم ؟

ان (غانم الدباغ) يقدم لنا هذين المستويين دفعة
واحدة : مستوى البطل الفرد ومستوى الجماعة ، ومن
المحتل ان هذا التعارض بين المستويين كان نتيجة
للتعارض الاساسي في الموقف ، وهو الموقف الذي تدور
حوله احداث الرواية : التعارض بين العزلة وبين
الاندماج في الجماعة والتعارض بين الرغبة في حياة
صادقة وبين العجز الظاهر في تحقيق هذه الرغبة . والمهم
عندني قبل كل شيء ان هذه الرواية عراقية بالتأكيد
كما هو حال الروايتين السابقتين .

لقد بدا لي ان للرواية منحى معينا في بداياتها
الاولى ، وخاصة في ذلك الموقف الذي يراقب فيه البطل
من شق في الجدار صبية مراهقة . لقد تذكرت فوراً
رواية « الجحيم » لـ (هنري باربوس) وخطر ببالي
ان المؤلف سيحاول وضع بطله امام هذا الشق بصورة
مستمرة ، الا ان توقعي هذا لم يكن صحيحاً لو اخذناه
بحرفيته ، الا انه كان صحيحاً اذا ما فهمنا المعنى البعيد
للتشق ، لان البطل فعلاً ظل طوال احداث الرواية ينظر
الى الحياة من هذا الشق الضليل ويتحرق شوقاً
لمراسلتها ، وهنا يحدث افتراق واضح عن بطل
« الجحيم » الذي كان يتحرق للرؤية فقط . ونقد رواية
(غانم) المنصر الفكري البعيد .

الا اننا لا نستطيع معارضة المؤلف بما لم يستطع
ان يحققه ، وانما علينا منذ البداية ان نعرف ان امامنا
عملاناً علينا ان نقيمه . ان هذا التناقض الواضح بين
ما يفكر فيه بطل الرواية وما يمارسه هو ما يدعى عادة
بازمة المتقنين ، وقد حصرت المشكلة هنا في اطرافها
السياسي ، مما يبنى بان التوجه السياسي هو هدف
الاختيار .

طبعا هنالك اطراف اخرى : تلك العلاقة العابرة بين
البطل والمعبيدة ، وتلك العلاقة الفاشلة بابتنة العم .
ان هذه الاطراف التي تعطي للاحياط مغزاه تدوب في النهاية
ويسيطر الاختيار السياسي على الزمن الروائي .

كثيراً لجعل الاشياء دائماً ترمز لما هو اعلى منها ،
ولكن اختيار المؤلف يتحكم فعلاً في هذا الامر ، وهذا
الحكم شيء اساسي لبناء اثر الادبي ، فجعل التفصيلات
والاحداث والزوايا تعني شيئاً هو احد اسس هذا
العمل ، وفي هذا السبيل يبدو ان اختيار (غانم) للخان
والشخصيات التي تعيش فيه اشارة او سيلة لتحقيق
هدف معين ، الا وهو تصوير هذا التيار العريض الذي
يحفز مجراة صاعداً من اعماق السقوط والنسيان نحو
شمس المستقبل . اعني تيار الجماهير .

اذن فالخلاص للحقيقة يشكل ركنا اساسيا من
اركان هذه الروايات التي بدأت تفرض وجودها . ولا
شك ان النظر الى الاوضاع الشاملة بنسبتها الواحد



حرج ونغم ..

شعر : ابراهيم منصور الشوشان

حر اننا .. واقولها باباء
لهياكل الانصاب والدخلاء
حر اننا ، لن اسكتين لغاصب
الارض ارضي والسماء سمائي
لن اسكتين ، وفي دمائي سورة
للتار قد عطشت ليوم لقاء
ما زال « غول الامس » يلفو في دما
شعبي ، ويحرق موطن الاسراء
وحليفه « الانمي » يناور خلصة
كالص يزحف في خطى بكاء
وحراب « هولاءكو » ، وسور حنينتي
متهالك بهتر في اعياء ...
ماذا يقول المجحفون من العدى

بل ما يحوك لامتى اعدائي ؟
قالوا : « اعيدوهم الى صحرائهم
« بدو » فليس لهم سوى الصحراء
وتحجبوا عنهم معارف عصرهم
كي يرتعوا في جنة الجهلاء
فالعالم بعث للشعوب ، محرر
للفكر ، من متعفن الاراء
وهو رابنة الحضارة لم يزل
يجيبنا منهم وميض سناء ! »
هذا الذي قالوه ، ثم تبادلوا
ما بينهم انخاب هدم بنائي

●●

قل لاللي شاؤوا اقتلاعي حسبكم
فتراب ارضي شاهد ببقائي
ان تسلبوا عيني القياء فانه
في قلبي الدامي يشع ضيائي
او تلجموا مني اللسان فانما
لتضج كل جوارحي بنساء
في حمة الالم المقدس تنتنشي
روحي ، ويسكرها صدى الارزاء
تلك الجراح اصوغ غب قصائدي
منها واجدل مبيري ولوائتي

ابراهيم منصور الشوشان
عنيزة (السعودية)

البطل يتعاطف مع القوى السياسية الناقمة ،
وتبقى مشاركته مترددة ، تتخللها احيان كوابيس بلا
معنى هي تعبير عن ازمة الفراغ ، ولا نكاد نتبين لهذا
الانسان الذي يسمى في عرف الجماعات السياسية
بالسليبي ، اقول لا نكاد نتبين له هدفا ولا معنى الا في
اطار التفكير السياسي .

واخيرا يتع في قبضة الشرطة بالصدفة ،
ويتدخل عنه ذو النفوذ الواسع لخراجها من ورطته .

وفي تسلسل هذه اللحظات التي ذكرناها عن
الرواية هناك عدة حلقات ولقطات انتقل فيها المؤلف
الى شخصيات اخرى ولكن توفيقه في رسمها كان ضئيلا .
واعتقد ان السبب هو طبيعة الحدث الروائي بالذات
اذ انه لم يكن الا حدثا فرديا ومحاوله دمجها ضمن
الاحداث الجماعية اثرت على التكوينات الاخرى التي
حاول الكاتب اقامتها . ومن الواضح ان الرواية كانت
رواية الفرد الواحد ولم تكن رواية الجماعة بمعنى ملاحقة
الاحداث في شمولها لا الشخصيات ومن هنا كان خطي
الحدود الاولى التي رسمها المؤلف لطبيعة الرواية
صعبا .

ان المقارنة التي اقمتها منذ البداية بين هذه
الرواية وبين رواية « الجحيم » كانت تستهدف الكشف
عن الموقف ، واستطيع ان اضيف الان ان وجدنا البطل
كشاشة لم يحسن استخدامها كثيرا . وبالتأكيد اننا
لست ضد رواية الشخص الواحد ، فلما يعملي للرواية
قيمته هو شمولية الفرد فكرا واحساسا ، ولكن يبقى
الهدف الذي نتطلع اليه محددا لاختيارنا .

هوامش :

(1) من الملحوظ دائما ان بعض الكتاب لا ادري لماذا — يورمون قوائم
باسماء الكتب الصادرة واسماء المؤلفين ، ويهتدون بأول رواية
وبأول قصيدة .. الى اخر هذه الاوليات اتناء بحتم في امثال
هذه الموضوعات ، كل ذلك دون تقييم حقيقي لهذه الآثار .
وباعتقادي ان البحث دائما يجب ان يتناول كل ما له قيمة واما
الآثار التي لا قيمة ادبية لها فعلا حاجة بنا لذكرها لان وجودها
اساسا في الاسواق كان خطأ اما ارتكابه الكاتب أو الناشر .

(2) يجب ان لا يعني هذا انني لم اقرأ الا هذه الروايات التي ذكرتها
وانما المقصود ان هذه الروايات تشكل علامات بارزة في تطور
الرواية العراقية وتضيف على الاقل شيئا ، وهذا في الواقع
شبه عظيم الاجابة .

(3) راجع — الموقف من التراث في الفلسفة والدين — مجلة الاداب
عدد مارس ١٩٧٠ بقلم (حسين مروة)

والإعلام تحت اسم : (المعهد الاعلامي) في كلية الآداب بجامعة الرياض ، وستكون مدة الدراسة فيه أربع سنوات . وقد التحق فيه حتى الآن ثلاثون طالبا .

● قررت المنظمة الثقافية العالمية (اليونسكو) إنشاء : (المركز العالمي لعلوم الإنسان) في العاصمة اللبنانية: بيروت .

ويعتبر هذا القرار كسبا عظيما للمثقفين العرب ، واعترافا جديدا من دول العالم بأهمية المشرق العربي في ميدان الحضارة الإنسانية .

● نتائج ونوصيات صدرت مؤخرا عن المؤتمر الذي عقد في القاهرة للنهوض بالكتاب في الاقطار العربية.. كان على رأسها : وضع خطط شاملة في الوطن العربي ، بالتعاون مع اليونسكو ، والمنظمات الدولية والإقليمية المعنية ، لتنمية الكتاب .. وإنشاء مجالس وطنية لتنميته .

● كما نصت على سن تشريعات داخلية ووضع اتفاقيات دولية لحماية حقوق المؤلف .. وعلى تشجيع ترجمة الكتب العربية الى اللغات الأخرى ، والترجمة الى اللغة العربية بعد التنسيق بين الاقطار العربية .

وقد لاحظ المجتمعون ان التوزيع الحالي للانتاج (٧٥ بالمائة للكتب المدرسية ، ٢٥ بالمائة لكتب القراءة العامة) يفترق الى التوازن ، وان من الضروري العمل تدريجيا على ان تصبح هذه النسبة - بحلول عام ١٩٨٠ - خمسين بالمائة لكل من هذين القطاعين ، وذلك لتلبية احتياجات المنطقة من الكتب العامة . وان تنظم عملية اعداد كتب الأطفال في الاقطار العربية على اسس علمية .. (اذ دلت الاحصاءات على ان الاغلبية

الكبرى من القراء تتراوح اعمارهم بين الثامنة والسابعة والعشرين) . واوصى بضرورة طبع الكتب بأسعار زهيدة ، وإنشاء روابط لجميع المهن المتعلقة بالكتاب ودعمها ، والوصول الى حروف هجاء عربية موحدة لاغراض الطباعة .

ودعا الخبراء الى توسيع نطاق شبكات المكتبات التجارية وغيرها ، حتى تصل الى جميع المناطق السكنية وإزالة العقبات التي تعوق حرية تداول الكتب والمواد السمعية والبصرية ... وان تخفف الاقطار العربية الرسوم الجمركية على الكتب .

وأخيرا ، اوصى الجميع بإنشاء مركز اقليمي عربي للنهوض بالكتاب ..

● في مجلة (الانباء الادبية) الفرنسية الأسبوعية ، كتب الفكر الفرنسي (ج . مازنزين) نقدا لأدعاء صادقنا لأهمية الألعاب الأولمبية الدولية ... متهما إياها - بحق - بإثارة جميع الفترات الاقليمية والعصبة القومية الضيقة في نفوس البشر جميعا ، تحت ستار مزيف خذاع من « التجسس الانساني في سبيل التنافس والتعارف »!

فقد لاحظ مازنزين التشابه الكبير القائم بين التجمع الرياضي الدولي وتجمع الجيوش في مبادئ القتال .. وان نتائج هذين التجمعين تترك في نفوس الشعوب اثرا واحدا ، يتمثل في إثارة المشاعر القومية الجوفاء وزيادة الاحساس بالتباعد الاقليمي ، وتبرير التعصب الاعى لقوم ضد قوم دونما داع او سبب .. اللهم الا لجرد التعصب وأرضاء نزعة العداوة التي فطر عليها الانسان الاول في ابدع عصور همجيته ...!

هذا هو رأي مفكر اوروبي حر .. فما رأي اولئك المسؤولين في

مختلف ديار العروبة ، الذين يذكرون نار التعصب الرياضي على حساب الوعي الفكري وبقظة الروح العلمية لدى شباب امنا ؟!

● بعد يومين من وفاة الشاعر الكبير محمود غنيم في القاهرة ، غيب الردي وجها ادبيا لامعا في سماء القطر السوري العزيز ، بوفاة الكاتب الكبير : **صديقي اسماعيل** .. يوم ٢٦ ايلول ١٩٧٢ .. بدمشق .

والفقيه من مواليد لواء اسكندرون ، ويعتبر من أبرز المفكرين في سورية ، الذين عبروا عن الفكر القومي العربي الوحدوي . وكان وقت وفاته يشغل منصب نائب رئيس اتحاد الكتاب العرب ، ورئيس تحرير مجلة (الموقف الادبي) .

للمرحوم صديقي اسماعيل بالإضافة الى مئات الأبحاث والدراسات النقدية والمقالات المتفرقة مجموعة قصص : (الله والفقر) ورواية : (العصابة) ومجموعة قصص مترجمة عن بوثنج : (الاعصار) ، وثلاث مسرحيات : (عمار يبحث عن ابيه - سقوط الجبهة الثالثة - سلمون) .. وكذلك : (رامبو) و (محمد علي القابسي) و (العرب وتجربة الماساة) .

● كتب لنا اخوة كرام من العراق الشقيق حول صدور عدد متزايد من المؤلفات الادبية المنوعة في بلاد الرافدين ونعد الجميع بايراد أخبارهم هذه ابتداء من الشهر القادم ، ضمن (احداث واحاديث) .. شاكرين لهم تقفهم بجملتهم هذه .. التي هي ملك لأدباء العروبة ومفكرها جميعا .

الحريه



معلم
حامد المظفر

كبيرة الوصفات ، النحاسية ،
المفتولة العمد ، أوصاها العم الشيخ
الكبير ان تنجز المهمة .. بتر العار .
بنت الشيخ لا تحب معلما ، من أبناء
المدن ، فقيرا .. بنت الشيخ ، لاهية
لها بعد اليوم ..
— عليك التنفيذ .. عليك انت
التنفيذ ..

— كيف يكون ذلك ؟
— الامر لك .. لا تترك اثرا ..
ولا قطرة دم .. بكل بساطة حثك
محفوظ .. كل شيء يجب ان يكون
اعتيايا .. نحن اصحاب الارض ..
نحن الامرون .. وانا مسافر الان
الى بغداد ..

وعلا صوت الطبل والناي ..
السوداء .. تبدأ مهمتها ، كان
تنفيذها قد سبق الشمس مغيبها ..
الحلوة الحساء سادرة في نومة العصر
العقيقة استعدادا لسهرة الليل ..
عملت الوسادة عليها .. تراقصت
السيقان .. صار الجسم باردا !!

في جنح الظلام واوله ، نقل
الجثث العاري الى مطبخ النساء ..
اشعلت النار .. صببت الماء المغلي
على الجثث .. ذوى اللحم على الارض
.. صارت السنة اللهب تلعو مطبخ
النساء .. وصاحت المرأة الكبيرة .
— حريق ! .. حريق ! ..

حريق ! .. ماذا ؟
— تعالت الاصوات
— حريق ! .. حريق !
ساد المكان جو محموم . استبر
اللهب متصاعدا .. الدخان يتوزع
باتجاهات مختلفة ..

— اين هادي ؟ .. اجلوه . لتكيل
العرس ! .. وتعم الفرحة ..
دار البحث عن حمادي في كل
مكان ، وقرب مطبخ النساء .. ذاب
هادي كالملح .. عرف مصيره ..
وفي طريقه الى المدينة صمم على
العودة في يوم جديد ، ليحج الارض
التي ارتبط بها ، وسقاها عليه
وجبه .

— انت مدعو الليلة في الضيف
يا هادي .. سنسرج لك فرسا شقراء
.. لن يفوتك الدوام عند الفسح ،
فانت المعلم ، وانت المدير ، وببيدك
جرس المدرسة تفرعه وقتنا تشاء ،
وتجمع هؤلاء الصغار ، لترغيمهم على
نزع جلودهم وافكارنا عنهم ..
سنسمر .. سنكرك الكلس تلو الكلس
.. سننشد المغني .. يعلو صوت
الناي .. يرقص بنات العجر حتى
الفجر ! .. الليلة عندنا ضيوف من
الدينة .. ونريدك انت معهم يا هادي !
نريدك معهم يا هادي .. موعدنا عند
الغروب .. انا بانتظارك .. والدي
يلح !! ..

ولبي رغبة ابن الشيخ ..
سار عند العصر عبر الحقل ،
يصحبه فارس .. فلقات الحظلة لما
تسقى الارض بعد .. الفلاحون
وابناؤهم يردون على تحيته .. فكره
هناك عند مضيف اهل الحبيبة .
وتنتهي السهرة بوقت ياكز ..
وتشد البطون فراح ، وخراف بحشية
.. تضاء السماء ..
— اظهر القمر ؟! .. اشرقت
الشمس ؟ ..

— لن اسمع امرا لغريك يا هادي .
كانت تريد لثم شفاه .. وهبت
بينما ترتعش انامله في جدائل شعرها
الفاحم .. كانت طويلة ، ذات غمازين
حلوتين ، وخصر ملفوف .
الكوخ ، المبني حديثا .. القصب
بلون التبر .. السقف ملطخ بالطين
من الخارج .. خشبة عريضة تعترض
وسطه .

الكانون ، ترقد قربه قواري
الشاوي والنومي ..
الارض ، تلتحف ببساطة من
صنع محلي .

كانت تلعب بالنار ، فكانت
البارد ، لم يجعلها ترتعش الا لهادي .
قطرات العرق تتساقط عبر جسدها
من الجبهة حتى ايهام القدم ..
الوصفات بلون البرونز ينتظرن عند
باب الكوخ ، مرافقات بنت الشيخ ،
ينبهن لكل طاريء .. يسمعن طنين
حشرات الارض ، وحشرات
الحبيبين .. يسمعن سهيل الخيل ،
وقصائد التي حفظتها عن ظهر قلب ،
تنشدها كل ليلة لهادي ..
ويتم اللقاء . في اكثر الليالي ،
فالتبر غائب باستمرار !



بقلم
جميل
علوش

من شؤون اللغة العربية وشجونها

ليس هذا بحسب بل ان هناك ظاهرة اعجب واغرب ، وهي ان معظم ابناء العصر الكبار لم يكونوا من خريجي الجامعات او المدارس الثانوية . ونذكر من هؤلاء الرافعي وحافظا والمعاد ولا نريد التعمي في ذكر امثال هؤلاء النوابغ الامثاذ فان العالم العربي يزخر بالادباء الذين لم يتجاوزوا في تعليمهم الصفوف الابتدائية . ومن الملاحظ ايضا ان الذين اتاح لهم الدراسة في الجامعة مثل الدكتور طه حسين اعلنوا تقورهم من اساليب التدريس التي كانت تطبق عليهم . وقد هاجم الدكتور طه حسين هذه الاساليب وبين مساوئها ونقائصها في مقدمة كتابه المشهور الادب الجاهلي . وكذلك فعل المعاد في عدة مواضع . واذا كانت صفوة ابناء العصر الحاضر تظهر نفورها من اساليب التدريس ونهاجمها بشدة وعنف فما الفائدة من هذه الاساليب وما الحكمة من تمسكنا بها وجعلها مقياسا للعبريات ومعيارا لدرجات النبوغ .

اما سر تاخر اساليب التدريس في مدارسنا وجامعاتنا فهو اعتيادها على الحفظ المجرد دون محاولة الاعتماد على الفهم والذوق ، وهما الركيزتان الاساسيتان لنمو الموهبة وتفتح العقيرة . ان عهد الرواية قد انتهى . فلقد كفتنا المخترعات الحديثة مؤونة الحفظ والاستظهار ولم نعد بحاجة اليها . اتنا في هذه الايام بحاجة الى الفهم والذوق ولا يكفي ان نردد كالبغايا ما نسمعه على مقاعد

الحديث عن علوم العربية وعن مناهج تدريسها وطرق تلقيها ذو شؤون وشجون . ثم ان النظر في هذا الموضوع لغاية في الخطر والاهمية ، لما لعلوم العربية من تأثير في ثقافتنا الحاضرة وفي عقلية اجيالنا الطالعة . علوم العربية هي الوسيلة الى اتقان لغتنا العربية والتبكن منها والبلوغ بها الى اسنى الدرجات وابعد الغايات . فلا ريب ان نوليها ما تستحق من رعاية واهتمام وان نبحت عن السبل القوية والاساليب الصحيحة الكفيلة بتقريبها من عقول النشء وجعلها محبة الى نفوسهم مستساغة في اذواقهم . ومن المؤسف ان نذكر ان اساليب التدريس المتبعة في ايماننا هذه لم تستطع ان تثبت كفايتها ، ولم تؤد النتيجة المتوخاة منها . فقد عجزت عن تخريج جيل يفهم لغته ويهوى تراثه ويهتم بتاريخه ومآثر قومه .

وحينما اؤكد ان اجهزة التعليم في العالم العربي قد قصرت في عملها فلم تتم بواجبها خير قيام ، ولم تنفذ المهمات المنوطة بها والاهداف الموكولة اليها على الوجه الاكمل ، فلست في ذلك القى القول جزاها ولا اعتسف الطريق اعتسافا . ان الادلة ظاهرة بيينة فمن بين جماهير الطلبة الذين يحصلون على النتائج الباهرة في مدارسهم وجامعاتهم قلما نجد الكاتب البليغ او الاديب النابغ او الشاعر الجيد . فكان اكثر ما يطبع اليه طالب الشهادة ان يكون مدرسا او موظفا .

الدراسة من مدرسينا واستاذتنا الافاضل ، اذ ما الفائدة من استظهار عشرين موصفا او ثلاثين يجوز فيها الابتداء بالنكرة او عشرة مواضع يجوز فيها فتح هبة « ان » او كسرهما ، ما فائدة ذلك اذا كان حفظ هذه المواضع لا يجنبنا لحسا ولا يصرفنا عن لكثة ؟

وانا انما اشير بهذا الى نفر من الاستاذة والمدرسين الذين يتصورون في انفسهم العصية والكمال فاذا اقرت طالب خطأ لطيفا نادوا بالثبور وعظام الامور ، فاعتصوا منه وحاسبوه حسابا عسيرا . وهم كلها وجدوا خطأ او عثروا على هفوة استطلوا اختيالا وشمخا بانوفهم تهبها كانتهم تجردوا من الخطا واستعصوا على الوهم . وهم الى ذلك يرفضون ان يجادلوا او ان تناقش آراؤهم او ان تحصى افكارهم ويريدون الطالب ان يقتل منهم ما يقولون دونها جدل او نقاش . واكثر من ذلك انهم يكرهون ان يحفظ الطالب آراء غيرهم او ينقل افكار مؤلفين آخرين .

ولكي اثبت اقوالي هذه لا ارى مانعا من ايراد بعض الوقائع التي شهدتها خلال دراستي الجامعية . من ذلك ان مخرس التاريخ في قسم اللغة العربية لم يكن يقتنع بكل الكتب والدراسات الصادرة عن عصر من العصور فيمنح الطلبة بقراءة كتاب معين او عدة كتب وهي كثيرة بل كان يابى الا ان يوزع عليهم مجموعة من المحاضرات الركيكة السقيمة ويطلب منهم حفظها والتقيدها بها . ويقدر تيسر الطالب بالنص الاصيلي لها كان ركيكا وسقيها تكون علامته . فالذي يحفظه عن ظهر قلب بضبط واتقان هو البرز المتفوق . اما من يربأ بنفسه ان يكون ببغاء يردد ما يقال دون فهم او ادراك فهو المقصر المتأخر .

ولقد حدثت في نهاية السنة الجامعية الاولى ان مثلت امام احد الاساتذة لتقديم امتحان شفهي في الادب الجاهلي وقد كان نصيبي (والامتحان يتم بالقرعة عندهم) ابسانا من معلقة الاعشى والتي مطلعها :

**ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا ايها الرجل**

وقد اخذت هذا بالقصيدة هذا حتى وصلت هذا البيت :

**صعدت هريرة غنا ما تكلمنا
جهلا بام خليل حبل من تصل**

فاشار علي الاستاذ المحتج بالتوقف وقال : كيف تعرب كلية (حبل) في هذا البيت ؟ قلت على الفور : انها مفعول به مقدم (لتصل) المؤخر . قال : خطأ ، انها مفعول به لكلمة (جهلا) قلت : عفوا استاذ ، ان (حبل) لا يمكن ان تكون مفعولا به (لجهلا) وذلك ان (جهلا)

اما ان تكون مفعولا مطلقا او مفعولا لاجله وهي في كلا الحالتين لا تأخذ مفعولا به ، لان من طبائع هذين المفعولين الا يتعديا الى مفعول به . قال : ابدا انها مصدر نائب عن فعله والمصدر النائب عن فعله يأخذ مفعولا به . قلت : لو سمحت يا حضرة الاستاذ ان المصدر النائب عن فعله يشترط وجود الامر او النهي او الاستفهام . والجملة هنا خبرية مثبتة لا تنضم ابرا ولا نهيا ولا استفهاما . وبالإضافة اذكر ان التبريزي في شرح المعلقات نص على انها مفعول به مقدم (لتصل).

وهنا بدأ الضيق والحنق على وجه الاستاذ الكريم فقال : اعتقد يجوز الوجهان ، ثم اردف قائلا : يظهر انك معتد براك كثيرا ، فان كنت حقا متبكنا من موضوعك فكيف تعرب (امية) في هذا البيت ؟

كليتي لهم يا امية ناصب

وليل اقايسه بطيء الكواكب

قلت : (امية) نادى وكان من الواجب ان تكون مبنية على الضم لانها علم ولكنها وردت منصوبة . وقد حاول النحاة ان يجدوا تعليلا لنصبها او لبنائها على الفتح فلم يأتوا بها يقتنع . انها ضرب من الشذوذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه .

ولم يعلق على جوابي فلم يكن يستطيع ان يماري في اني اصبحت شاككة الرمي ولكنه اكتفى بان يشير الي بانتهاء الامتحان . ولكنني خرجت وانا غير متبائر . فقد تركت الابتعاد بتضائنا بتضيق الصدر . وقد يعجب القاريء اذا علم ان نتيجة الامتحان لم تكن مشرفة .

وقريب من ذلك ما حدث لي مع احد اساتذة الادب العربي في جامعة دمشق . فقد دخلت عليه لتقديم الامتحان الشفهي في الادب الحديث للسنة الجامعية الرابعة . وكانت قرعتني قصيدة لمعروف الرصافي . وبعد قراءة القصيدة وتفسير بعض ابياتها سالني عن سبب تسمية شاعر العراق المشهور بالرصافي . قلت لانه ولد في الرصانة لذلك نسب اليها . قال : انه لم يولد فيها فينسب اليها . قلت لا ادري . قال : ان الرصانة شاحية في بغداد تقابلها الكرخ وبينهما النهر . وقد اطلق عليه لقب الرصافي بالنظر الى المتصوف المشهور معروف الكرخي فيكون للكرخ معروف وللرصانة معروف . وبعد ان تغض بهذا الشرح قال بزهو وخيلاء : ما زال في ثقافتك بعض الثغرات التي يجب ان تسد . وكان يتصور انه بهذا يلاطفني ويساريني فقد كنت اهديت اليه بعض مؤلفاتي وتسلمت منه جوابا رقيقا . فهو لذلك يود ان يبدو لطيفا قدر الاستطاعة . في اللقاء الاول بني وبينه . الا انني ضقت ذرعا بزهو وخيلائه وقلت في نفسي : هذا موقف يفتقه من اديب وائق بنفسه وله كتب

ومؤلفات فما هو موقفه من طالب ضعيف لا حول له ولا قسوة ؟ لا شك انه سيصرعه وسيجهز عليه . ولا ريب اذن ان يتف كثر من الطلبة والطالبات على البابير يتجفون في انتظار ساعة الحساب .

ولم ارد ان اخرج دون ان ابلفه ما يضطرب في نفسي ، قلت : ان معرفة الاعلام والاسماء ليست مهمة وهي ليست من صلب علم اللغة ومن يدعي الاحاطة باعلام الادب العربي ومعرفة اسباب التسمية لكل منهم وظروفها ؟ ثم اردت : في رأيي ان فهم بيت للرصافي اهم من معرفة سبب تسميته او تلفيقه .

ولم يكن الظرف مناسباً ولا الوقت متسعاً لان اوضح للاستاذ الكريم ما يدور بخلدني حول هذا الموضوع لقد غابني ان اذكر له ان السائل دائماً يكون في موقف اقوى من موقف المسؤول وان الفرق بينهما كالفرق بين المهاجم والمدافع في ميدان المعركة . المهاجم يمتلك زمام المبادرة في حين لا يمتلك المدافع ذلك الزمام . وغالباً ما تكون نتيجة المعركة في مصلحة المهاجم . ولعل هذا السبب هو سر هزيمة امام البصريين سيوييه في المناظرة التي جرت بينه وبين الكسائي امام الكوفيين في حضرة يحيى بن خالد البرمكي . فلو كان سيوييه هو السائل لتغيرت نتيجة المناظرة على الرغم من العوامل السياسية والاجتماعية الاخرى التي كانت تحيط بها .

ومن هذا القبيل ما جرى بين الكاتبين الكبيرين طه حسين وزكي مبارك فقد كانت العلاقات بينهما غير طيبة ولا سليمة . ولكي يوضح الدكتور زكي مبارك ما ظنّه جهلاً في جانب الدكتور طه حسين ويكشف ضحالة ثقافته اتصل به بالهاتف وطلب منه ان يفسر له معنى كلمة (الزمالة) . والزمالك حي من احياء القاهرة . فنلتك الدكتور طه حسين ولم يوفق في اعطاء الجواب الصحيح . وسرعان ما نشر الدكتور زكي مبارك الخبر في الصحف متباهياً بنجاحه وكأنه تغلب على الدكتور طه حسين ونال من كبريائه . وفسر الكلمة بانها تعني (الخيام) وانها من اصل الباني . وقد اقترن وجودها بمحمد علي باشا الذي نزل في هذا المكان عند قدومه من البانيا حيث نصب الخيام واقام هو ومصحبه من جنود الجيش التركي الالبان .

وهذه الحادثة لا تستحق ما اثاره حولها الدكتور زكي مبارك من تطويل وتزوير فالدكتور طه حسين لم يدع انه يعلم كل شاردة وواردة من المعلومات . ومن السهل للدكتور طه حسين ان يوجه الى الدكتور مبارك سؤالاً ينجح فيه . وهذا ينطبق على كل علماء الدنيا لان عقل الانسان محدود ومعرفته محدودة ومن الجهل الادعاء بمعرفة كل شيء ..

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى من قال ان قتيبة العالم او الاديب متوقفة على معرفة سؤال او حل لغز او نكح احجية ؟ من قال ان حفظ كمية من المعلومات مهما كانت كبيرة يجعل من الجاهل عالماً ومن القاريء ادبياً ؟ اذا كان الامر كذلك فان المسجل هو اعلم الناس .

ان الاديب هو مزيج من الحس الصادق والفهم العميق والذوق الرفيف والخيال الخصب . فهو بذلك مجموعة من الاحاسيس والمشاعر ، من الخواطر والتفجرات ، من اشعاعات الفهم وتوججات الذكاء .

ان الملكة الفنية تقوم على خمسة اعمدة هي الحافظة والذوق والعاطفة والخيال والحس . ومن الغريب والمستفكر ان مدارسنا لا تعير اهتماماً ولا للحافظة وتهمل بقية العوامل مع ما هي عليه من الاعمى في حياة الطالب . ولهذا فان مدارسنا ومدرسينا يخرجون حفظة لا اكثر ولا اقل لانهم لا يهتمون الا بالحافظة اما الذوق والخيال والعاطفة والحس فليس لها حساب في مدارسنا . ومن هنا يبدو لنا عبث الاعتماد على الملاحظات والتقديرات الدراسية في الفاصلة بين طالب وآخر .

ولا اريد ان اتوقف هنا فما زال في جمعتي من قصص التدريس والمدرسين الشيء الكثير . اذكر اني تعرفت قبل مدة من الزمن على بعض الدكاترة المختصين في تدريس قبة اللغة في احدى الجامعات العربية وكنت قد احطت عليه للاشراف على رسالتي الجامعية . فامطرني وابلا من النصائح والتوجيهات واخذ يسخر من علوم الاولين ويهزأ بالعلوم العربية التقليدية ويدعو بحرارة الى التجديد . وعندما شقت ذرعاً قلت ، استاذي الفاضل مع تقديري لهذه النصائح والتوجيهات قد يكون في قراءة احد مؤلفاتك ان تذكر لي عنوان احد تلك المؤلفات حتى اشتريه واقتنيه واستفيد منه ؟ قال : اسف ليس عندي مؤلفات . ثم غاب قليلاً واحضر لي كراسية صغيرة تحتوي على مقال باللغة العربية ينقلنا عن احدى المجلات ، وارده بكراسين اخرين باللغة الفرنسية وقال : اقرا هذه المقالات فقد يكون في قراءتها بعض الفائدة قلت : اني لا اقرا الفرنسية قال : خذها معك فقد تجد من يقرأ الفرنسية فتعلمه عليها . وقد اخذت الكراسين واعطيتها لبعض من يقرأون الفرنسية في هذا البلد اما الكراسية العربية فهي في نهاية السقم والركة .

وقد تعرفت باستاذ اخر كان ما يفتأ يتحدث عن النحو واللغة فيسفه سيوييه ويقول ان النحو يجب ان يكتب من جديد ويصاغ على اسس جديدة . ومن احاديثه المستمرة حصلت له في نفسي هبة وتقدير .

العربية من خلالها هي شيء غير مستحب ولا مستساغ بالنسبة الي ، وخصوصا اني اعمل على مثل هذا النوع من الآلات في الاعمال الحسابية . انني امقت الآلات وارفض هذا النوع من الدراسة فلما النحو والا فلا .

وهنا ابتسم وقال : الحقيقة لا مانع عندي في ذلك ولكن احب ان تعلم ان النحو ليس موضوعي ولست متخصصا فيه ولكن الادارة كلفتني بهذا العمل بعد احالة استاذ النحو في الجامعة على التقاعد .

وليس مهما سرد بقية القصة فالذي يهينا منها ما اوردنا . وهذا يؤكد ان اللغة العربية تعاني أزمة شديدة وقائلة ايضا . ان اسانذة من النوع الذي ذكرت لا يصلحون للقيام بتدريس العربية . ان فاقد الشيء لا يعطيه ومن ثم فلا يمكن ان يؤدي هؤلاء خدمة للغة ولا منفعة لطلابها والمقبلين على دراستها .

ومن اراد العربية فليطلبها عند علمائها الكبار وانتهما الاماذن من شعراء وكتاب . اما من لا يستطيع ان يجيد احد فنون القول من شعر او نثر او نقد او قصة فهو لا يعرف اللغة قطعاً وهو من ثم غير خليف بتدريسها وبتلقينها للأجيال الطالعة .

وقلت في نفسي لا شك ان هذا الدكتور الذي لم يعجبه سيبويه علامة فهامة . ولولا انه كذلك لما تجرأ على مهاجمة سيبويه . وحدث ان قدم لي ذات يوم ديوانا له اسمه (العاصفة) . ولشد ما دهشت ان هذا الدكتور الذي يهاجم سيبويه لا يعرف عن النحو شيئا وان شعره مهمل وضعيف . والديوان في حوزتي ولكن كونه مقبلا الي كهديّة يمنني من منه او مهاجمته او الخروج من التلميح الى التصريح بشأنه .

ولمعد الى الدكتور الذي تحدثت عنه انفا والذي بلغت مؤلفاته في مجموعها ثلاث كراسات . لقد كانت ادارة الجامعة قد كلفت الدكتور المذكور بالاشراف على رسالة جامعية لي في موضوع نحوي غابى واستكبر واخطى الاعذار ووضع العراقيل ، وادعى ان النحو موضوع ميت مندثر وانه لا يصلح لهذا الجيل . وامام تمنته واستكباره رجعت الى المدير المسؤول واشهد انه كان لطيفا ومهذبا وتقصصت عليه ما حدث وقلت له : لئن كان النحو العربي درس واندرش فاللغة اللاتينية درست واندرش ومع ذلك فهي ما زالت تدرس في الجامعات وتستحوذ على اهتمام العلماء والباحثين ، وهذا ما ينطبق على معظم اللغات السامية . انها حجة باطلة واحب ان تعلموا ان السبب في تمتع هذا الدكتور الذي مكتم له من تصدر قسم اللغة العربية في جامعتكم وابتناعه عن قبول الاشراف على موضوع نحوي هو جهله بذلك الموضوع وخشيته من انكتشاف امره . قال المدير وهو يصغى الى شيء من الدهشة والذهول : امانت واثق مما تقول ؟ قلت كل الثقة .

قال المدير : سأحدث الدكتور في الموضوع وان شاء الله يكون خير .

وعند مقابلتي له في المرة التالية احالني على الدكتور من جديد . وكأنه باح للدكتور بها كاشفته به فلقيني الدكتور هائبا باشا وابدى استعداداه للأشراف على الموضوع المقترح الا انه حاول من جديد ان يثني عزييتي ، ويقنعني باختيار موضوع اخر في فقه اللغة لا كما يفهمه العرب بل كما يفهمه الإنرج . وحددني كثيرا عن الدراسات الحديثة وعن الآلة التي بإمكانها ان تحصى عدد الأعمال الثلاثية او الرباعية او الخماسية في القرآن مثلا . قلت له : انه لايسرن ان ارى المتحرك وعقلا متوقفا . انه مما يسيء الى العربية ان تصبح علم احصاء . وانه ليس مما يشرف العالم ان يعرف مفردات اللغة معرفة احصائية . ان اللغة احساس وذوق لا آلات وارقام . واعتقد ان تذوق بيت من الشعر خير مما انت فيه . كما احب ان تعلم ان هذه الآلة (الماكينة) التي تريد ان تطلعني عليها وتشجعني على دراسة

ترباً في اللغات فهد العسكر تأليف عبد اسد زكريا الأنصاري

طبعة جديدة مزيّدة ومنقّحة



بقلم
عتيقة
الأدرسي

منك أتيت وإليك أعود

للالصاق بك، مهما كان حنان والدي ، ومهما شئت في احضان عطفها الذي يفوق كل عطف ، ومهما ضمني قلب حبيب عزيز وتبتعت بحبه الى ما لا نهاية وأن طال العمر وأمدت الزمان فسيأتي ذلك اليوم الذي سأفارقهم فيه جميعا او يفارقونني فيه من غير اختيار ، ولا رغبة، سابكي .. وسأبكي لهول الوداع .. ولكن ثمة قوة عنيفة خفية ستزعمني على تقبل الواقع من غير أن تمنحني حتى فرصة التفكير فيه كيف وقع .. ولا كيف انتقله لكن عندما أعود الى رشدي واسأل نفسي .. وتغرب من عيني الدموع .. اليس نفس المصير ينتظرني أنا الأخرى حين يأتي دوري .. وإلى أين .. ذلك هو الجواب الذي أجده عندك فقط . الى احضائك أعود يا أمي الحنون .. انت التي تخفين الآلام المعذبة وترحين ضيف الاشقياء ومهما كنت مسوتك فلن تكون اقوى ولا اقسى من قسوة ذلك الانسان الطاغية الذي لا يعرف شيئا اسمه الانسانية ، ذلك الغول المفترس الذي يحلم ببناء عرينه على اساس التهب والظلم والطمع ويفكر في مزيد من اطالة اظافره السامة غافلا عن انها ستوصل من جذورها في يوم ما .. مهما كنت قاسية فلن تكوني اقسى من ظلمه وجبروته .

ان الحضارة مهما تقدمت وازدهرت فانها لن تستطيع ان تحقق شيئا ناجحا بالنسبة للذين لم يعرفوا بغير العدوان ، ما اظلم تقدمهم لم يكسبهم رصيда انسانيًا لكن كان فقط عابلا هالبا لتخريب الانسانية وتزييقها وهذا دليل واضح من غير شرح لمن اعتبر .

مهما كنت قاسية فلن تكوني اقسى من هؤلاء جميعا ودعيني الان وقد أصبحت محبكت في قلبي اعظم واعيق، دعيني اقول لك : ما انكرنا لفضلك وما اضلنا عن طريق حقيقتك ، وما اقصر عقولنا عن البحث عنك وعن العبرة من حكمتك ولكن قبل ان ارتمي بين احضائك واعانتك عناق الخلود ، اود ان ترحمني معي على ذلك الانسان الذي عرفك حقا وقدر قبيلتك حيث قال كلمته الخالدة :

خفف الوطء ما اظن اديم

الأرض الا من هذه الاجساد

ما اقواك وما ارحمك .. كم انت كريمة بمعطاء .. حق لك ان تكوني اُمي لا بل اُم الجميع اذا مشيت فاحب ان امشي متندة الخطى حتى اجد فرصة طويلة لتأمل فيك .. صدرك ما ارحبه يسع كل هؤلاء البشر على كثرة عددهم واختلاف اجناسهم وجنسياتهم . فيك مصدر كل خير وسعادة ، هذا الخبز الذي انتهه بشره ونهم كلنا هذني الجوع .. لولاه لما استطعت ان اعيش وذلك المساء العذب الحلو الذي انطفئ اليه كلنا احرقني الظما وبدونه لا يمكنني ان احيا . والقوت اليومي الذي يتعب الانسان من اجله برغم ما يعانيه من مشاق ومصاعب دونه ، الاصل فيك وان انتشرت الفروع وتشتعت ابرعاتها والفضل الاول لك ، مهما احرز الانسان من تقدم في الآلة والصناعة والتقنية والحضارة ليوفر بها شتى المتاعب وليعطي لنفسه لقب السيادة با دام عقله قد استطاع ان يصل لكل هذه المختراعات العجيبة التي تحقق له الانتصار في شتى مشاكل الحياة والمعاش ولكنها لن تحقق له الانتصار عليك ، لانك كنت وبقيت وستبقى تلك النقطة الاساسية لانطلاقة الانسان الكبرى .

هكذا اناملك ايها الام الرؤوم .. اناهل فضلك وكرمك العظميين واقارن بينك وبين الانسان ذلك الذي غلب عليه زهوه وغروره وطعمه وانانيته تشيد عليها جميعا برجاً عاجيا يسكن فيه ليعيش بعيدا عنك ، ونسي كل شيء نسيان المتحدي للحقيقة النازك للنعمة ولكذك وانت الرحيم لم تكوني قاسية عليه برغم عساده وتكبره ، لم تكوني لتلقي معه ، موقفا موازيا . بل تركته يسير ويبنى ويحقق احلامه ، ويعيش كيفما بدا له واحب. لانك متأكدة من غروره وتفاهته. ولانك تعلمين ان النقطة التي انتهى منها مهما ابتعد وصال وجلال سيأتي اليوم الذي يعود ليستقر في مركزها من حيث يدري او لا يدري. وتلك هي الحقيقة التي تعرفينها انت ، ويجهلها هو وما اعظمها من حقيقة يجهلها لانه .. لن يعيش بغير العقل الذي يجب ان يعيش به ، ويسير في غير الطريق الستى كان ينبغي ان يسير فيها . وحقيقته. التي كلنا تأملناها شعرت بحنيني يشدني اليك ، وبشوقي العميق يدفعني



الدموع الحائرة

أقدم في سبيل الحق نفسي ..
لأن الحق ينزع .. بالزناد
فلا أخشى التوائب أن ترامت
وانثبت البرائن في فؤادي

••

والحرية الجراء ادعو ..
بني قومي ليحفظوا بالمراد !!
فما للمرء في الدنيا هناء
إذا افتقد الكرامة في البلاد
فضمته إليها ثم قالت :
لعل الشعب يسمع من ينادي !!

••

بني فكُن قتيبة والمثني
وعقبة هب من بعد الرقاد
وكن أن اقبلت سحب المتاي
صلاح الدين لاح على الجواد !!
وهبوا يا شباب العرب هبوا
فهذا يوم انتهاء الفساد

••

رنوت اليهما حيران مما
بدا وغدا لسانني في انعقاد
وغالبت الدموع وقتلت مرعى
لنار الحق تعصف بالرماد
سعيد الصقلوي

ونائحة بقرب الدار تمشي
ونلطم خدها ابكت فؤادي
يوأكب خطوها طفل كئيب
له ثوب .. تلتخ .. بالسواد
يصيح بها ببرك ابن ولي
ابي ؟ والحزن في عينيه بـ
واين الزهر في وطني المقدى
تضوع بالشذى كل كيل واد
واين ملاعب فيها .. لهونا
لها في القلب يخفق شوق صاد
واين الروض والخلان حولي
وفيم نهيم في هذي الوهاد
فكالت والدموع جرت سيولا
والأم التشرد في ازدياد
هي الاقدار قد حكمت علينا
ونفذ حكمها فينا الاعادي
وجبنا كل صقع دون ماوى
وتنها في الحواضر والبوادي
يذيب الجوع منا كل عضو
وينهشنا باتياب حداد
فقال لها كفك ، سفت دمعاً
له في القلب وخز كالقتاد
فلن انسى ديار الجدد يوماً
ولن احيا ذليلاً كالجماد
فلا عاش الذي يبغي حياة ..
يرغها التذلل للعباد
اتما امه ان نادى المتادي
تقدمت الصفوف الى الجهاد

جين أوستن

Jane Austen



ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الروائية الانكليزية ١٧٧٥-١٨١٧م

وهو من رسم شقيقتها كاساندر
وكانت جين حينذاك في الخامسة
عشرة .

ولما كانت جين قد قضت خمساً
وعشرين سنة في بيت خوري الابريشية
في مستقنتون انتقلت في عام ١٨٠١ ،
لدى تقاعده عن العمل ، الى باث مع
والديها وشقيقتها كاساندر ، وتوفي
والدها فاستقرت مع والدتها وشقيقتها
في منزل يملكه شقيقتها ادوارد في
هاشاير حيث لبثت شهرين الى ان
توفيت .

وقد اعتلت صحتها فانتقلت الى
ونستسر للرعاية الطبية ، واخذت
صحتها وقواها تضمحل شيئاً فشيئاً

ونضجت جين فاصبحت سيدة
ذات حيوية كبيرة وفكاهة فائق ، وكانت
رغم خجلها متألقة في الحفلات
والاجتماعات .

وقد روى انها كانت ذات وجه
متورد وعينين كبيرتين عسلتين وانف
دقيق . اما شعرها فقد كان بني اللون
مجعداً ، ويبدو انها كانت مشوشة
القوام ، انيقة اللبس والحركة ، وكان
مظهرها ينم عن الصحة الكاملة .

كما انها اجادت بعض الهوايات
كالعرف على البيانو والغناء .
ولعل الرسم ، الذي يصاحب
هذا المقال ، لمه الرسم الوحيد الذي
يشبه ممس اوستن الى حد بعيد ،

كانت جين اوستن الطفلة
السابعة من ثمانية اطفال لرجل دين
يعيش في الريف الانكليزي ، فقد ولدت
في ستيفنتون بهامشاير عام ١٧٧٥ .
ولم تنلق قسطاً وافراً من التعليم
في المدرسة ، اذ قضت فترة وجيزة
من الدراسة في اكسفورد بسوتهايتون
واولعت بالمطالعة في سن التاسعة ،
ثم درست اللغة الفرنسية وقليلاً من
الاطيالية والتاريخ .

وانكتت جين على قراءة الادب
الانكليزي ، فقرأت لشكسبير وميلتون
واكتسبت معرفة شافية بكتاب المقالات
والروائيين والشعراء في القرن الثامن
عشر .

بِقلم السيدة

سما
زكي
الحامشي

الانكليزية من نصر ومكانة رفيعة في الادب الانكليزي .

وانطلقت جين في الكتابة على سجيبتها ودونها تكلف ، فنجدها تكتب عن ابطالها في تلك الغرفة المتواضعة ببيتها ، وبذلك البساطة التي تنفث بها شرائط جديدة لشعرها ، وتضع كل احساساتها وجميع ما تملكه من مقدرة في موضوعاتها ، وانتقدت فئة من النقاد جين اوستن لانها لم تخرج عن محيط تجربتها الشخصية ككتّبة ، فان رواياتها تصور حياة عادية لرجال ونساء يعيشون في منازل ريفية بسيطة او في تصور فنية . لذا نجدها تصور مجتمعاً محدوداً ، ومع ذلك فانها تعد نماذج كاملة للملهاة الاجتماعية لما تتميز به من قدرة على المشاهدة وعلى خلق الشخصيات الحية .

وقد عبرت جين عن احساسات كثيرة كالرغبة والغرور والعاطفة ، وهي احساسات اخبرها كل انسان . ان العالم الذي وصفته لنا جين في كتاباتها ، عالم واقعي ، اذ انها تضي على شخصياتها جواً من الواقع ، حتى لتشعر بانها قريبة منا ومألوفة لدينا ، رغم انها ليست من عصرنا وترتدي ازياء لا نمت الى عالمنا بصلة .

ولا عجب اذا رأينا الكاتب الذائع الصيت « والتر سكوت » يكن لجين احتراماً وتقديراً عظيمين ، اذ كان يطري على « هبهنا الفذة » ومصف الشاعر وتقديم شخصيات نجدها في حياتنا اليومية .

وهنا اقواله عنها : « هناك صدق في التصوير في كتابة جين وهذا ما يسميني جداً ، فهي بطريقتها الخاصة كانت ذات طراز فريد » .

اما الكاتب والمؤرخ الانكليزي توماس ماكولي Thomas Maccaulay ١٨٠ - ١٨٥٩ م فانه لم يتردد لحظة واحدة في مولاته لمس اوستن .

واقواله عنها في مجلته سنة ١٨٥٨ : « لقد كنت اود لو ان المصادر توفرت لي ان اكتب ترجمة قصيرة لحياة هذه

وتعتبر بطلتها اليزابيث بنيت Elizabeth Bennet احصى اروع بطلات القصص ، حيث انها تتحامل على بطل الرواية وهو « دارسي » الذي يعاملها بكبرياء .

ومن هنا اتى عنوان الرواية ، وقد كان لها عنوان آخر هو « الانطباعات الاولى » First Impressions .

اما اخر انتاج لجين فهو قصتها : « المطاردة » Persuasion . لقد كان ادبيجين اوستن متوناً بها انتجت من روايات تعد بحق اروع ما كتب في الادب الانكليزي ، ولم تنجم نفسها وانما اسست شهرتها الادبية بنبات وجدارة ، فعرّفها جيلها المعاصر لها مثلها عرفتها الاجيال التالية .

وقد اعجب بابداها الكثيرون ، فقد كان الكاتب الانكليزي المعروف « السير والتر سكوت » من معجبيها ، وشبهها ماكولي بشكسبير وموليير ، على ان البعض الاخر من الادباء مثل « هنري جيمس » اکتفوا بتقدير ادبها .

وتجد الكاتبة اليزابيث باون Elizabeth Bowen تشابهاً بين جين والكاتب الانكليزي المشهور « هنري فيلدنج » بروحها الكوميدي العالية ، في كتابها الذي الفتة عن كتاب القصة الانكليزية English Novelists

لقد كتبت جين تهوى قراءة القصص وتعتبر القصة ذات مكان مشرف في الادب وتمتد بها احزره كل من فيلدنج وريتشاردسون للقصة

الا انها احتفظت باشرافها حتى النهاية . وتوفيت بهدوء وصبت في ١٨ تموز من عام ١٨١٧ وعمرها لا يتجاوز واحداً واربعين عاماً ، ثم دفنت في كنيسة ونشستر .

لقد كانت حياة جين هادئة ولم تكن مزججة بالاحداث ، وليست هناك اشياء تذكر عن حياتها العاطفية ، الا انها قبلت عرضاً للزواج وهي في السابعة والعشرين من عمرها . وكان صاحب العرض صديقاً لها ، لكنها عادت فرفضت ذلك . وهكذا عاشت جين دون زواج وماتت وهي لا تزال في سن الشباب .

ويكتب عنها الناقد اوستن لي Austen Leigh فيقول : « انه من الصعوبة بمكان ان نحدد متى بدأت جين بالكتابة » فهناك نسخ من روايات رسماً لنفسها في سن مبكرة لكنها بسيطة ومحدودة .

واخذ اسلوبها في الكتابة يتطور وينمو ، فالتقت في عام ١٧٩٢ رواية سيمتها : « الينور وماريان » Elinor and Marianne وكانت في هذه الرواية تحاول ان تحذو حذو كاتبها المفضل ريتشاردسون Richardson وما لبثت ان اتبعتها برواية عنوانها السيدة سوزان Lady Suzan .

وبدأت في عام ١٧٩٧ بكتابة روايتها « عقل وعاطفة » ثم « دير نورثاجر » واتبعتها برواياتها الاخرى وهي « كبرياء وتحامل » و « حديقة مانسفيلد » و « ايما » .

لقد قدمت جين لقراء الادب كوميدياً متطورة لا نظير لها في القصة الانكليزية ببراعتها في رسم الشخصيات وببصيرتها الفولاذية الثابتة ، فقصتها « دير نورثاجر » تعتمد على الفكاهة والمرح . كذلك روايتها « عقل وعاطفة » فهي تتضمن شيئاً من الفكاهة الادبية .

اما روايتها « كبرياء وتحامل » Pride and Prejudice فهي من اكثر رواياتها شعبية لدى القراء .

طرائف ..

ذل السؤال
ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله
عوضاً ولو نال الفنى بسؤال
واذا السؤال مع التوال وزنته
رجح السؤال وخف كل نوال

العقل

راس الاشياء ، فيه قوامها ، وبه
تمايها ، لانه سراج ما بطن ، وملاك
ما علن ، وسائس الجسد ، وزينة
كل احد ، لا تستقيم الحياة الا به
ولا تدور الامور الا عليه .
الاحنف بن قيس

عوام القزل

دخل رجل على بعض العلماء
فاوما الى موضع يجلس فيه فعملد
عنه الى جهة اخرى وكانت العين
تقع هناك على ما يجب ستره ، فقال
له : اجلس بحيث اجلسك فاني اعلم
بمَوار منزلي .

عقاب وزهد

ترجى قفولي لها بالفنى
لعل النية قبل القبول
رات عدي فاستراثت رجلي
سبيك ان سواها سسبيلي
لعمر التي وعدتلك الثراء
بجدوى التسيب ورفد الخليل
لقد قذفت بك صعب المرام
واستجملت لك غير الجميل
ساقتي الكفاف وراضي المعاف
فليس غنى الرمي حوز الخويل
ولا اتصدى لدح الجواد
ولا استعد لدم البخيل
واعلم ان بنات الرجاء
تحل العزيز محل النليل
وان ليس مستغنيا بالكتير
من ليس مستغنيا بالقليل



جين اوستن

فهي تقدم لنا بصديق وواقعية
دراماتيكية مؤثرة . ونجد كلا منهما
يقول الشيء الصحيح في المكان
الصحيح وبالطريقة الصحيحة .

وحينما تكتب جين عن بعض
مواطن الضعف في المرأة كالغرور
والاعتداد بالنفس ، تتحدث بلغة
الا انها تصيح ذات اسلوب ساخر
جاد عندها تتحدث عن الفروق بين
العائلات وعن الكبرياء والعتاد
والفروق بين طبقات المجتمع . فهي
تنقد المجتمع من خلال رواياتها .

ورغم ان عالم جين محدود الا
انها تبدي براعة كاملة في نطاق هذا
العالم المحدود .

واعبرت الكثير من الابداء وفاة
جين وهي بعد شابة في الاربعين ،
خسارة فادحة للابد ، فلقد اُنجحت
روايات كثيرة قيمة في عمر قصير .

كانت جين متواضعة النفس
للغاية ولم تكن تطلب شيئاً في حياتها
سوى ان تكتب على التاليف والكتابة ،
وقد حققت هذه الامنية وماتت بهدوء
وقد اطمانت الى انها تركت اثاراً
خالدة مدى الزمن ، فلما اشرقت على
النهاية سلكت عما اذا كانت ترغب
في شيء فاجابت : « لا شيء سوى
الموت » .

دمشق - سماء زكي المحاسني

المرأة المدهشة ، ولجمعت بعض المال
كى اصنع لها تمثالاً في كنيسة
« ونشستر » ومهما يكن من امر ان
روايات جين تمثل الحياة العائلية ،
بكل ما فيها من احداث ، وهي تصور
لنا المجتمع الانكليزي بطبقته
المتوسطة والفنية وبما فيه من
شخصيات تختلف في تصرفاتها وفي
اساليب تفكيرها وانفعالاتها .

واذا رغبتا في معرفة راي جين
في ادبها ، يمكننا ان نرجع الى احدى
الرسائل الشائقة التي كتبها لشخص
يدعى « المستر كلارك » وكان يعمل
امينا لحدى المكتبات على اثر اعدائها
له روايتها « ايبا » وكان هذا الشخص
قد كتب لها يقترح ان تؤلف رواية
تدور حول حياة رجل ديني ، وقال
انها لو فعلت ذلك لبذت كل ما ن جولد
سميث وامونتين .

فاجابت جين بانها يمكن ان تتناول
جانباً بسيطاً كوميدياً في حياة هذا
الرجل ، اذ لم يكن بإمكانها ان تتحدث
عن اشياء علمية او فلسفية .

كانت جين حريصة كل الحرص
على ان تحافظ على نمط واحد في
الكتابة . وقد لا نجد لديها ما نجده
لدى بعض كتاب الرواية الاخرين مثل
« بلزك » من كثرة التفاصيل الا ان
جين تستخدم هذه التفاصيل لتصوير
شخصياتها المليئة بالحياة والنشاط